كتاب استخراج الجدال

من القرآن الكريم

تصنيف

الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم

المعروف بابن الحنبلي

ولد سنة ٥٥٤ - وتوفي سنة ٦٣٤هـ

تحقيق

الدكتور زاهر بن عوّاض الألمعي

كتاب استخراج الجذور
من القرآن الكريم

الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ

الطبعة الثانية ١٤٠١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

« ٱدعُ إلىَ سَبيل رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسنَةِ وجادِلْهُم بِالَّتي هيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهتَدِينَ »(*)

« صدق الله العظيم »

(*) سورة النحل آية (١٢٥)

المقـدّمة

الحمد لله الذي أنزل القـرآن على لسـان سيد العـرب والعجم تبصرة وذكرى لأولي الألباب والأفهام .

والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنـام ، وعلى آله وأصحابه الكرام .

وبعد ، فإن العقل البشري يتطلع دائماً إلى قوة الإقناع عن طريق الحجة والبرهان والعلم . وكتاب الله الكريم معجـزة خالدة لنبي الاسلامﷺ يحاج العقل البشري في أرقى ما وصل إليه من العلم ،ويتحداه إلى الأبد . وما إن دعا البشر إلى عقيدة التوحيد حتى وقف الناس منه مواقف متباينـة فكان يسـلك معهم مسالك التوجيه والإرشاد ، ويعامل خصومه بما يتناسب وأحوالهم العلمية والاعتقادية ، فيجادل المشركين جدل هداية ودلالة ، بينما يجادل أهل الكتاب جدل تخطئة وإلزام لأنهم على علم .

ويأتي شديداً وقاسياً بل مصحوباً بالتهديد والوعيد عنـد

جداله للمنافقين ، وما ذلك إلا لأنهم كانوا أعرف الناس بلغة العرب وبما جاء به الرسول الأعظم ﷺ من السمو البياني والإعجاز القرآني ، ولكنهم تظاهروا بالإسلام وأبطنوا النفاق ، فكانوا أكثر الأقوام وزراً وألزمهم حجة وأحقهم بالتهديد والتقريع .

والجدل في اللغة هو : اللّدد في الخصومة والقدرة عليها ، ومراجعة الكلام[1] .

وفي الاصطلاح : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم .

وجدل القرآن الكريم هو براهينه وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين وإلزام المعاندين في جميع ما قصد إليه من تبيان الحقائق وترسيخها في أذهان الناس .

وقد ورد الجدل القرآني على ثلاثة أوجه ، هي :

١ ـ مارد الله به على الخصوم من الحجج والبراهين ، وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد وتقرير قواعد الملة مما جاء على ألسنة رسله وأنبيائه وما ألهم الله به عباده الصالحين من قول بالحق ودفع للباطل. وهذا جدل بالحق بل هو أمر ضروري لتبليغ رسالة الله إلى أهل الأرض ودفع ما يعتورها من شبهات، وإزالة

---

(١) لسان العرب ج ١١ ، ص ١٠٥

ما يقف في طريقهامن عقبات،وكشف ما يحاك ضدهامن مؤ امرات وما يدبر لها من كيدوضلال، وهذا النوع من الجدل القرآني وإن كان فيه معنى الإلزام والإفحام إلا أنه مشتمل على التوجيه والارشاد إلى طريق الحق والصواب .

وهكذا جدال الملائكة وجدال خولةَ بنت ثعلبة التي حكى الله قصتها في سورة المجادلة ، ونحو ذلك مما يرجع إلى هذا المعنى .

٢ ـ ما ورد في القرآن بطريق الحوار ، والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر للعظة والاعتبار أو الترجي والدعاء ومن هذا القبيل جدل إبراهيم عليه السلام مع ربه حين قال « رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي »[١] .

٣ ـ ما يأتي على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة التي حكاها القرآن الكريم وبين بطلانها وما تنطوي عليه من مفاسد ، وهذا يدخل تحت عنوان الجدل بالباطل كما قال تعالى (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)[٢] .

---

(١) البقرة : آية ٢٦٠

(٢) سورة غافر : آية ٥

تلك جوانب الجدل التي حكاها القرآن الكريم وقد أوضحتها في كتابي (مناهج الجدل في القرآن الكريم)[1] .

والجدل ظاهرة انسانية بل عالمية لوجودها في غير الأجناس البشرية كالملائكة وإبليس .

وقد خلق الله تعالى الانسان ناطقاً مفكراً يتوارد عليه من الخواطر والمعلومات ما يجعله مدفوعاً بالضرورة إلى الإفضاء بها والإفصاح عنها ، وقد تشتد وتبرز أشد البروز في مواقف الحجاج والنقاش وتبادل الأفكار واحتكاك بعضها ببعض ، موافقةً أو مخالفةً أو برهنةً أو معارضةً أو تعلماً أوتعليماً ، إلى غير ذلك مما هو مرتكز في الفطرة الانسانية وما تستدعيه طبيعة النوع البشري من التعرف والتفاوت إدراكاً وعلماً . فالجدال لا يمكن أن يخلو منه بشر عنده بيان يعبر به عما يختلج في نفسه من مقاصد وأغراض بصرف النظر عن كيفية هذا البيان ونوعيته .

إن النفس البشرية مجبولة على الدفاع عنها وتقرير مطالبها وايضاح مقاصدها حتى في مواقف القيامة فإنها لا تتخلى عن

---

(١) ص ٢١ ـ ٢٢ .

هذه النزعة البيانية الانسانية كما في قوله تعالى (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا)[1] .

وكما ورد في حديث عن النبي ﷺ أنه قال (يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله)[2] .

إن هذه النزعة البيانية تتفاعل مع بعضها ومع العقول المتفاوتة والآراء المتباينة والمشارب المختلفة مما يكون له أثره الفعال فيما يجري بين الناس من مجادلات ومناظرات فالجدال يعود بمعناه العام إلى نزعة البيان والافصاح المودوعة فطرياً في الانسان وهو بتعبير آخر وسيلة إفصاح عما يجيش في النفس من تأثرات وأحاسيس إما لإظهار مبدأ ، أو نصرة حق ، أو تصحيح خطأ أو توجيه مفهوم ، أو غير ذلك مما جبلت عليه النفوس البشرية ، وبأي دافع كان هذا الحوار الانساني فالجدل ضرورة حتمية فلا يقال إنه واجب ولا مكروه لأنه طبيعة وجبلة في الفطرة الانسانية (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً)[3] .

---

(١) سورة النحل : آية ١١١

(٢) رواه الترمذي : انظر سنن الترمذي ج ٧ ، ص ١٤١ ـ القيامة .

(٣) سورة الكهف : آية ٥٤ .

وإذا أردنا أن نعرف تاريخ الجدل ونشأته فإن القرآن الكريم أصدق سجل يروي لنا نماذج من جدل الأمم الغابرة منذ أن وجد الانسان على هذه البسيطة بل ومن قبل وجوده كما في جدل الملائكة حول وجود آدم خليفة في الأرض ، وجدال إبليس[1] ، وبهذا نقول : إنه لا يمكن أن نحدد وقتاً زمنياً لنشأة الجدل بمعناه الفطري العام لأنه وجد بوجود الانسانية كامناً في نزعاتها البيانية .

ولو رجعنا إلى تاريخ اليونان وفلاسفتهم لوجدنا لهم جهوداً كبيرة في تنظيم قواعد المنطق ومسالك الجدل وإن كانت ليست سليمة من كل وجه ولكنهم نظموا تلك القواعد والمسالك الجدلية كعلم يدرس وفن يكتسب بالصنعة ، وكان (أفلاطون) أول من تصدى للحركة السوفسطائية، ومن بعده (أرسطو) الذي يعود إليه تنظيم قواعد المنطق[2] ووضع مسالك الجدل .

وظل الجدل في عصر الصحابة والتابعين مقصوراً على ما تدعو إليه الحاجة من تبيان للحق ودفع للشبهة وترجيح الأدلة في الاجتهادات الفقهية .

---

(١) انظر « مناهج الجدل في القرآن الكريم » ص ٣٤ ـ ٤٣ .
(٢) انظر « الملل والنحل » ج ٢ ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

ويقال: إن أول من دوّن الجدل في الاسلام هو أبو علي الطبري[1] . وقيل: إن أول من كتب فيه البزدوي والعميدي[2] .

ثم كثر التأليف من بعدهما وانتشر الجدل بسبب انتشار الفتح الإسلامي ودخول كثير من الأمم ذات النِّحَل والعقائد المختلفة في حوزة الدولة الاسلامية الجديدة .

إن جدل القرآن موضوع شيق ومحبب للنفس والعقل معاً ، تجد فيه النفس متعة وجدانية غامرة ، ويجول فيه الفكر ويتلذذ بما يراه من مبادئ عقائدية وحجج منطقية وبراهين عقلية وحسية ، وهذا ما دعاني ، كما قلت في مقدمة كتابي السالف الذكر إلى اختيار (مناهج الجدل في القرآن) موضوعاً لرسالتي في الدكتوراه . وهو اختيار جذبتني إليه روحانية المنطق القرآني وما يشع من ثناياه من أنوار هدايةٍ تحقّق للانسانية طمأنينتها وسعادتها.

وفي أثناء بحثي ودراستي عثرت في أحد أروقة الجامع الأزهر بالقاهرة على مخطوطة كتاب (استخراج الجدال من القرآن الكريم) لابن الحنبلي فكان بالنسبة لي ضالتي المنشودة

---

(١) المصباح المنير ، ص ١٢٨

(٢) تاريخ الجدل لأبي زهرة ، ص ٥

وطَلبتي المقصودة. وقلبت صفحاته فإذا هي ثمان وأربعون صفحة. وقبل أن أتحدث عن المخطوطة يجدر بي أن أتحدث فيما يلي عن صاحبها وبإيجاز:

ترجمة المؤلّف (١)

هو عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهّاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد الأنصاري الخزرجي (٢)

---

(١) مستخرجة من :
- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، ج ٢ ص (١٩٣- ٢٠١)
- شذرات الذهب ، ج ٥ ص ١٦٤ - ١٦٥
- القلائد الجوهرية ص ١٥٨ - ١٥٩
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ج ٨ ، ص ٧٠٠ - ٧٠٢
- الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ، ج ٢ ص ٧٠ - ٧١
- كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير ج ١٣ ص ١٣٩
- الأعلام لخير الدين الزركلي ، ج ٤ ص ١١٦ .

(٢) هكذا في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي حيث نسبه إلى الخزرج من الأنصار ، وقد أشار إلى هذا الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٣٩ وأرجع نسبه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنه ، وهو ما ذهب إليه صاحب القلائد الجوهرية ص ١٥٨ وصاحب الذيل على الروضتين ص ١٦٤ . أما صاحب شذرات الذهب والأعلام فقد أوردا (الجزري) بدلاً عن الخزرجي .

قلت ولعله نسبة إلى الجزيرة ، وهي البلاد الواقعة بين دجلة والفرات كما ذكره ابن الأثير الجزري في كتابه (اللباب) ج١ص٢٧٧. وإنما الاشكال الذي يرد في هذه الترجمة حول نسبة المترجم له الى شيراز حيث جاء : (الشيرازي الأصل) ونقله الزركلي في كتابه (الأعلام) فقال (أصله من شيراز) بينما تشير المصادر السالفة=

السعدي ، العبادي ، الشيرازي الأصل ، الدمشقي الفقيه الواعظ ناصح الدين أبو الفرج المعروف بابن الحنبلي .

ولد ليلة الجمعة السابع عشر من شوال سنة أربع وخمسين وخمسمائة بدمشق .

رحل إلى العراق ومصر والحجاز وفلسطين ، وكانت له حرمة عند الملوك والسلاطين خصوصاً ملوك الشام بني أيوب وحضر فتح القدس مع صلاح الدين .

سماعه عن المشايخ :

١ ـ سمع من أبيه[١] في دمشق .

= الذكر إلى انتسابه إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وهو عربي الأصل واللسان ، والذي يظهر لي أنه لا تعارض هناك فهو ينسب إلى سعد بن عبادة بحكم العرق والنسب وإلى شيراز بحكم الموطن الذي عاش فيه.

ولا شك أن انتشار الفتح الاسلامي قد جعل الصلة وثيقة بين العرب وبين اخوانهم المسلمين في البلاد الأخرى التي امتد إليها ، بل إن المصاهرة والاستيطان في كل بلد شملته نعمة الاسلام صار أمراً طبيعياً ، وعليه فلا يبعد أن يكون من نسل سعد بن عبادة ثم لما استقر في شيراز غلبت عليه هذه النسبة . أما نسبته إلى دمشق فكانت بحكم المولد كما في المتن .

(١) هو أبو العلاء نجم الدين عبد الوهاب بن شرف الاسلام عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي الأصل الأنصاري ، شيخ الحنابلة بالشام في وقته . ولد سنة ٤٩٨ هـ . وتوفي في ١٢ ربيع الآخر سنة ٥٨٦ هـ . ودفن بسفح قاسيون . انظر : شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ .

٢ ـ وسمع من القاضي أبي الفضل محمد بن الشهرزوري[١] .
٣ ـ وسمع من أبي الحسن علي بن نجا الواعظ[٢] .
٤ ـ وسمع من أحمد بن الحسين العراقي[٣] .
٥ ـ وسمع من الحافظ أبي موسى المديني[٤] في أصبهان ،

---

(١) القاضي أبو الفضل محمد بن الشهر زورى قاضي القضاة كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر الموصلي الشافعي ، ولد سنة ٤٩١ هـ . كان فاضلاً ديناً أميناً ثقة ولي القضاء بدمشق لنور الدين الشهيد محمود زنكي واستوزره أيضاً فيما حكاه ابن الساعي ، توفي في المحرم سنة ٥٧٢ هـ .
(انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٣١٤ و٣١٥ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٢٤٣

(٢) زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنايم الأنصاري الدمشقي الفقيه الحنبلي الواعظ المفسر المعروف بابن نجية ، نزيل مصر ، سبط الشيخ أبي الفرج الشيرازي الجيلي ، ولد سنة ٥٠٨ هـ . وتوفي سنة ٥٩٩ هـ . انظر : مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١٥ ، العبر ج ٤ ص ٣٠٧ ، شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٤٠ ، وذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ٤٣٦ .

(٣) أحمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد العراقي البزوغاني ، أبو العباس الفقيه المقرىء الحنبلي : قرأ القرآن على (عبد الله بن علي سبط الخياط) وسمع محمد بن سهلول وغيره . . . سكن دمشق إلى أن مات . سمع بدمشق من محمد بن أحمد بن عقيل البعلبكي ، روى عنه عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي . توفي سنة ٥٨٨ هـ . (انظر الوافي بالوفيات ج ٦ ص ٣٥٢ ترجمة ٢٨٥٣)

(٤) هو الحافظ الكبير شيخ الاسلام محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد المديني الأصبهاني الشافعي (أبو موسى) محدث حافظ لغوي إخباري نسابة . ولد بأصبهان في ذي القعدة سنة ٥٠١ هـ . وزار بغداد =

وهو آخر من سمع منه لأنه سمع منه في مرض موته .

٦ - وسمع من أبي محمد عبد الغني بن الحافظ أبي العلاء[١] بهمذان .

٧ - وسمع من أبي شاكر السقلاطوني[٢] ببغداد .

٨ - وسمع من عبد الحق اليوسفي[٣] ببغداد .

= وهمذان وتوفي بأصبهان في التاسع من جمادى الأولى سنة ٥٨١ هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٣٣٤ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٢٧٣

(١) عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي ، ولد في جماعيل (قرب نابلس) وانتقل صغيراً إلى دمشق ثم رحل إلى الاسكندرية وأصبهان وتوفي بمصر . ولد سنة ٥٤١ هـ . وتوفي سنة ٦٠٠ هـ .
انظر : شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٤٥ ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١٩ ، وذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٥

(٢) أبو شاكر السقلاطوني يحي بن يوسف بن بالان الخباز روى عن ثابت بن بندار والحسين بن البسرى وجماعة ، توفي في شعبان سنة ٥٧٣ هـ .
انظر : شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٤٦ .

(٣) أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد اليوسفي الشيخ الثقة ، توفي سنة ٥٧٥ هـ . عن احدى وثمانين سنة . كان صالحاً متعففاً كثير التلاوة.
انظر : شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٥١ .

٩ ـ وسمع من مسلم بن ثابت الوكيل[١] ببغداد .

١٠ ـ وسمع من عيسى الدوشابي[٢] ببغداد .

١١ ـ وسمع من شهدة[٣] الكاتبة ببغداد .

١٢ ـ وسمع من تَجَنِّي الوهبانية[٤] ببغداد .

١٣ ـ وسمع من نِعمة بنت القاضي أبي خازم ابن العزاء[٥] ببغداد .

---

(١) مسلم بن ثابت بن القاسم بن أحمد بن النحاس البزاز البغدادي المأموني ، أبو عبد الله بن أبي البركات ، ويعرف بابن (جُوالق) بضم الجيم . ولد سنة ٤٩٤ هـ . وتوفي سنة ٥٧٢ هـ . ودفن بمقبرة باب حرب . سمع من أبي علي بن نبهان ، وتفقه على أبي الخطاب الكلوذاني .
انظر : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ٣٣٧ ترجمة ١٥٧ .

(٢) عيسى الدُّوشابي ـ بضم الدال المهملة ومعجمة وباء موحدة نسبة إلى الدوشاب وهو الدبس ـ هو عيسى بن أحمد الهاشمي العباس البغدادي الهراس . روى عن الحسين بن البسرى وغيره . . . توفي في رجب سنة ٥٧٥ هـ .
انظر : شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٥٢ .

(٣) شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج الدينوري ثم البغدادي الكاتبة المسندة . كانت دينة عابدة صالحة ذات بر وخير . توفيت في رابع عشر المحرم سنة ٥٧٤ هـ . عن نيف وتسعين سنة .
انظر : شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٤٨

(٤) تجني الوهبانية أم عتب آخر من روى في الدنيا بالسماع عن طراد والنعالى . توفيت في شوال سنة ٥٧٥ هـ .
انظر : شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٥٠

(٥) روت عن أبيها أبي خازم محمد بن محمد بن الحسين بن القاضي أبي يعلى .
انظر : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ١٨٤ .

درس الناصح بعدة مدارس ، منها :

١ ـ مدرسة جده شرف الاسلام .

٢ ـ ودرس بالمسمارية مع أبي المعالي أسعد بن المنجا[١] .

٣ ـ ودرس بالصاحبية .

انتهت إليه رياسة المذهب بعد الشيخ موفق الدين[٢] وكان يساميه في حياته . وقد وقع مرات بين الناصح والشيخ الموفق اختلاف في فتوى في السماع المُحدَث.

---

(١) أسعد، ويسمى محمد بن المنجى بن بركات بن المؤمل التنوخي المعري ثم الدمشقي الحنبلي القاضي وجيه الدين أبو المعالي. ولد سنة ٥١٩ هـ. قال ناصح الدين بن الحنبلي: كان أبو المعالي بن المنجا يدرّس في المسمارية يوماً وأنا يوماً ثم استقليت بها في حياته. توفي في ١٨ ربيع الأول سنة ٦٠٦ هـ.
انظر : شذرات الذهب ج ٥ ص ١٨ و ١٩

(٢) هو الشيخ موفق الدين المقدسي أحد الأئمة الأعلام أبو محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة الحنبلي صاحب التصانيف ولد بجماعيل سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . . حفظ القرآن وتفقه ثم ارتحل إلى بغداد فأدرك الشيخ عبد القادر فسمع منه ومن هبة الله الدقاق وابن البطي وطبقتهم . .
انتهى إليه معرفة المذهب وأصوله وكان مع تبحره في العلوم ورعاً زاهداً تقياً عليه هيبة ووقار .
قال الإمام أبو العباس ابن تيمية : مادخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق رحمه الله .
وقال أبو شامة : كان شيخ الحنابلة موفق الدين إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين في العلم والعمل .
توفي سنة ستمائة وعشرين هـ . (انظر شذرات الذهب ج ٥ ص ٨٨ ـ ٨٩) .

تصانيفه :[1]

للناصح ، رحمه الله تعالى ، تصانيف عدة ، منها :

١ ـ كتاب « أسباب الحديث » في مجلدات عدة .

٢ ـ كتاب « الاستسعاد بمن لقيت من صالحي العباد في البلاد » .

٣ ـ كتاب « تاريخ الوعاظ » .

٤ ـ كتاب « الأنجاد في الجهاد » صنفه بحلب .

٥ ـ « المقامات الدمشقية »[2] .

٦ ـ الإجماع والنص والقياس في فضائل بني العباس .

٧ ـ البروق في التفسير .

٨ ـ الحجة العظمى[3] .

٩ ـ الفروق في اللغة .

١٠ ـ الحدائق في الوعظ والجدل والاقيسة والخطب .

١١ ـ شرح أسماء الله تعالى .

---

(١) انظر كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » ج ٢ ص ١٩٩ . ومرآة الزمان ج ٨ ص ٧٠٠ .

(٢) انظر كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » ج ٢ ، ص ١٩٩ ، ومرآة الزمان ج ٨ ، ص ،، .

(٣) هذا الكتاب والذي قبله أشار إليهما المؤلف في هذا الكتاب « استخراج الجدال من القرآن» انظر ص ٦١ و ٦٤ وقد ورد في «مرآة الزمان» ج ٨ ص ٧٠٠ «المروق في التفسير» والصحيح ما أثبتناه .

١٢ ـ مختارات من المسند والبخاري ومسلم وغير ذلك .
١٣ ـ أقيسة النبي ﷺ .
١٤ ـ الفصول المسجعة[١] .

قيل عنـــه :

١ ـ قال الحافظ الذهبي في تاريخه :
« كان حلو الكلام ، جيد الإيراد ، شهماً مهيباً صارماً . وكان رئيس المذهب في زمانه بدمشق » .

٢ ـ وقال ابن النجـار « كان فقيهـاً فاضـلاً أديبـاً حسـن الأخلاق .

٣ ـ وقال أبو شامة : « كان واعظاً متواضعاً متفننـاً . له تصانيف ، وله بنيت المدرسـة التـي بالجبـل للحنابلـة يعنـي مدرسة الصاحبية .

٤ ـ وقـال المنـذري : « قـدم مصر مرتـين ، ووعـظ بهـا وحدث ، وحصل له بها قبـول ، وحـدث بدمشـق وبغـداد وغيرهما ووعظ ودرس ، وكان فاضلاً ، وله مصنفات . وهو من بيت الحديث والفقه وحدث هو وأبوه ، وجـده ، وجـد أبيه ، وجد جده[٢] .

توفي يوم السبت ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وستمائـة بدمشق . ودفن بسفح جبل قاسيون ، رحمه الله تعالى .

---

(١) انظر أقيسة النبي ﷺ للمؤلف ص ١٤٥ .
(٢) انظر : شذرات الذهب ج ٥ ص ١٦٦ ، والذيل على طبقات الحنابلة ج ٢ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

مخطوطة استخراج الجدال
من
القرآن الكريم

ترجع صلتي بهذه المخطوطة كما قلت في المقدمة إلى أيام دراستي في مرحلة الدكتوراة واعداد رسالتي عن (مناهج الجدل في القرآن الكريم) . وقد وجدت هذه المخطوطة في رواق الأتراك بالأزهر تحمل رقم (٣٤٠) . كما اطلعت عليها مصورة على الميكروفيلم بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦٦٩) .

وعدد أوراقها (٢٤) ورقة في (٤٨) صفحة بما فيها صفحتا العنوان والخاتمة . ومقاسها ٢١ × ١٥ سم . وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة (١٩) سطراً ، وهي بحالة جيدة وتامة ولكن الأرضة كانت قد عاثت فساداً في مكان صغير من الصفحة الأولى فالتهمت كلمتين منها عرفناهما من سياق المعنى .

ورغب إنسان مريض أن يشارك الأرضة في تخريبها فأخذت يده تعبث في نهاية المخطوطة لتشويه بعض الأسماء

فيها فمحا كلمات الختام التي كان يمكن أن يستدل بها على تاريخ النسخة وكاتبها فجاءت على النحو التالي :

« علقه من خط شيخه مُسْمِعِهِ أقضى القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي لشيخه العلامة مُسْمِعِهِ صلاح الدين . . المرحوم . . . عبد الله . . . » .

ومهما يكن من أمر هذا التشويه فإن المفهوم من مجمل الكلام أن الناسخ الذي لم يوضح اسمه قد نسخ الكتاب من مخطوطة شيخه ومسمعه (أي الذي أسمعه إياه) وهو أقضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن إبراهيم القرشي الذي يرويه عن شيخه ومسمعه الذي أسمعه إياه صلاح الدين . . . تلا ذلك ثلاثة أسطر مطموسة يبدو انها بقية سند رواية الكتاب المتصل بمؤلفه أبي الفرج عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي .

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أحد أمرين :

إما أن يكون ناسخ هذه المخطوطة مجهولاً لم يُعْرَف بنفسه ، وقد كتب هذه عن نسخة أخرى ربما تكون نسخة أقضى القضاة ، أو نسخة أخرى عليها سماع أقضى القضاة .

وإما أن يكون أقضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي هو ناسخ هذه

المخطوطة وقد سها عن خطأ نحوي في قوله (. . . أبي عبد الله) والصحيح أبو عبد الله .

ولكن هذا الاحتمال الثاني مستبعد للدلالات التالية :

ا ـ لو كان أقضى القضاة هو الناسخ لكتب اسمه بشكل صحيح على النحو التالي : « علقه . . . أبو عبد الله » وليس : أبي عبد الله كما جاء في آخر النسخة ، وخاصة أن أقضى القضاة على درجة من العلم تمكنه من كتابة اسمه معرباً .

ب ـ لا أعتقد أن الناسخ يصف نفسه بأقضى القضاة .

ج ـ لدى مقابلتي بين خط هذه النسخة وخط بعض صفحات من مخطوطة « أقيسة النبي المصطفى ﷺ » التي كتبها أقضى القضاة هذا لاحظت بعض الاختلاف في طريقة الكتابة بينهما ، وخاصة في كتابة (من) وأواخر بعض الحروف كالسين والصاد . . . وإن كان هناك تقارب في كتابة بعض الكلمات والحروف في أماكن أخرى ، فالله أعلم .

ومهما يكن من أمر ناسخ هذه المخطوطة ، سواء كان هو أقضى القضاة أو رجل آخر نسخها عن نسخة أقضى القضاة أو عن نسخة عليها سماع أقضى القضاة فإن أقضى القضاة هذا وهو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم

القرشي الشافعي المصري ، المشهور بابن القماح ، المولود سنة ٦٥٦ هـ في القاهرة والمتوفى بها سنة ٧٤١ هـ[١] ، كان له اهتمام كبير بالمجاميع في مختلف العلوم وقد قال عنه ابن حجر العسقلاني :

« . . . وله مجاميع كثيرة مشتملة على فوائد غزيرة »[٢] ، وذكر أيضاً أنه أجاز له جماعة من الشاميين فلا يبعد انه عند اتصاله ببعض الشاميين قد اهتم بجمع مؤلفات ناصح الدين ابن الحنبلي للاستفادة منها .

ونسختنا هذه نادرة ، بل تكاد تكون هي الوحيدة المعروفة الآن إذ لم أعثر على نسخة أخرى فيما اطلعت عليه من كثير من فهارس المكتبات المعروفة في العالم حتى أتمكن من مقابلتها ومقارنتها بنسختنا هذه .

ومن المفيد في تحديد عمر هذه النسخة وقفية حسن بن محمد هاشم بن زين العابدين الحسني لها في غرة المحرم سنة ١١٣٠ هـ . كما جاء في صفحتي العنوان رالخاتمة .

وقد نشرت هذه المخطوطة بدون تحقيق ضمن مجموعة

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٩ / ٩٢ ، وشذرات الذهب ٦ / ١٣١ ، وطبقات الأسنوي ٢ / ٣٣٨ ، والوافي بالوفيات ٢ / ١٥٠ ، وحسن المحاضرة ١ / ٢٤٦ ، وذيول تذكرة الحفاظ ١١١ .

(٢) انظر الدرر الكامنة ج ٥ ، ص ٣٠

الرسائل المنيرية في الجزء الثالث منها من الصفحة (٤٠) إلى الصفحة (٦٥) والمطبوعة في المطبعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ والمصورة في بيروت عام ١٩٧٠ م .

نسبة المخطوطة لابن الحنبلي

لم أجد ذكراً لهذه المخطوطة ضمن مؤلفات ناصح الدين فيما اطلعت عليه من المصادر والمراجع التي ترجمت له وإن كان صاحب (مرآة الزمان) قد أشار إلى أنه وجد بخط ابن ناصح الدين فهرسة تصانيف والده ، فذكر منها[1] : الحدائق في الوعظ والجدل والأقيسة والخطب . ولا أدري ما إذا كان (الحدائق) واحداً من مجاميع الشيخ ناصح الدين وكان (الجدل) هو الكتاب المخطوط الذي بين أيدينا « استخراج الجدال من القرآن الكريم » أم هو شيء آخر ؟

وقد صدر أخيراً كتاب (أقيسة النبي ﷺ) في القاهرة طبع مطبعة السعادة عام ١٣٩٣ هـ بتحقيق الأستاذين : أحمد حسن جابر وعلي أحمد الخطيب بمجمع البحوث الاسلامية ، وهما من علماء الأزهر ، وقد نسبا كتاب (استخراج الجدال) إلى عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي صاحب (أقيسة

---

(١) مرآة الزمان ج ٨ ، ص ٧٠٠

النبي ﷺ) وعدَّاه في مصنفاته[1] ولكنهما لم يذكرا المصدر الـذي اعتمـدا عليه في نسبـة هذه المخطوطـة لابــن الحنبلي ولعلهما ـ وهو الراجح عندي ـ قد اعتمدا على نسخة رواق الأزهر أو على صورتها في دار الكتب المصرية .

وعلى أي حال فإنه لا يستبعـد أن تكون هذه المخطوطـة ضمن مؤلفاته التي لم تذكر عند ذكر تصانيفه ، لأن صاحب (مرآة الزمان) وغيره كابن رجب الحنبلي ذكروا أن له مؤلفات عدة ولم يسمّوا إلا بعضها ، وعدم ذكر هذه المخطوطة ضمن مؤلفاتــه قد حدا ببعض الدارســين إلى نسبتهــا إلى غــير صاحبها ، فقد جاء في النشرة الدورية لدار الكتـب المصرية (القسم العربي) مطبعة دار الكتب بالقاهرة ، السنة الأولى عام ١٩٢٨ م في العــدد الأول أن هذا الكتــاب ، أعنــي (استخراج الجدال من القرآن الكريم) هو لابن رجب الحنبلي المتوفي سنة ٧٩٥ هـ . تلميذ ابن قيم الجوزية وصاحب كتاب (شرح الأربعين النـووية) للإمـام النووي (والذيل على طبقات الحنابلة) وغيرهما من الكتب القيمة .

وقد تتبعت آثاره وحياته العلمية فلم أجـد هذا الكتـاب ضمن مؤلفاته . ولما سألت بعض الإخوة في دار الكتب عن

---

(١) انظر : أقيسة النبي ﷺ ، ص ٤٤ .

سبب نسبة هذا الكتاب إلى ابن رجب الحنبلي بينما هو لعبد الرحمن بن نجم قالوا بأنه من المحتمل أن تكون الشخصية واحدة وهي شخصية ابن رجب الحنبلي لأن ابن رجب اسمه عبد الرحمن ، وربما ان الاختلاف كان من ناحية اللقب ، أو حدث من بعض من ترجم له ، فرأيت أن الأمر يحتاج إلى مزيد تحقيق واستجلاء فرجعت إلى كثير من كتب التراجم والأعلام ، وقارنت بين الشخصيتين في أمور متعددة ، منها : الأسماء والمؤلفات وتاريخ الميلاد والوفاة لكل منهما فوجدتهما شخصيتين مستقلتين لكل منهما اتجاهاته الثقافية وآثاره العلمية[1] . وتوصلت إلى أن نسبة هذه المخطوطة لعبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي صحيحة وإن لم تذكر ضمن مؤلفاته بصورة واضحة . ومن الدلائل على ذلك ما يلي :

١ ـ التوافق بين أسلوبه في كتاب (أقيسة النبي ﷺ) وبين أسلوبه في كتاب (استخراج الجدال من القرآن الكريم) فنرى مثلاً في مقدمة الكتابين تقارباً كبيراً في نمط السجعات

---

(١) انظر : هدية العارفين ١ / ٥٢٧ ، الأعلام ٤ / ١١٦ ، مرآة الزمان ٨ / ٧٠٠ ، شذرات الذهب ٥ / ١٦٤ ، ذيل الروضتين ١٦٤ ، القلائد الجوهرية ١٥٨ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٩٧ ـ ٢٩٩ ، البداية والنهاية ١٣ / ١٤٦ .

يقول في مقدمة (استخراج الجدال من القرآن الكريم) :

« الحمد لله الحاوي كتابه أنواع العلوم الدال أمره على الموجود والمعدوم ، المشرف خطابه لذوي العقول والحلوم ، الضارب الأمثال لأرباب الألباب والفهوم . . . الخ » .

ويقول في مقدمة (أقيسة النبي ﷺ) :

« الحمد لله واهب العقول حفظ المنقول وفهم المعقول ، مرشد الألباب إلى الفرق بين العلة والمعلول ، مجري أنواع العلوم على لسان السيد الرسول . . . الخ . . » .

كذلك كلمة (قياس آخر) وردت في كتاب (أقيسة النبي ﷺ) بكثرة ، ووردت كلمة (دليل آخر) في كتاب (استخراج الجدال من القرآن الكريم) بكثرة أيضا مما يوحي إلى أن هذا التوافق في الأسلوب والمنهج في الكتابين يتميز بهما مؤلف واحد هو ناصح الدين ابن الحنبلي .

٢ ـ انه ورد في كتابه (استخراج الجدال من القرآن الكريم) ذكر كتاب له سماه (البروق) حيث قال : « وقد ذكرنا ذلك في كتاب البروق »[١] .

وكتاب البروق هذا لم أر من ذكره ضمن مؤلفات ابن

---

(١) انظر ص ٦١ من هذا الكتاب.

الحنبلي ولكنه يبدو أنه كتاب يتعلق بالتفسير . ويفهم هذا من المقام فجدال إبليس وعدم سجوده لآدم واعتراضاته وأقيسته الفاسدة تحدث عنها القرآن الكريم في أكثر من موضع . وإذا ترجح لدينا أن كتاب « البروق » يتعلق بالتفسير فاعلم أن صاحب « مرآة الزمان » ذكر أنه وجد بخط ابن ناصح الدين فهرسة تصانيف والده ، وذكر منها كتاب (المروق في التفسير) كما تقدم .

على اننا عندما نتأمل كلمة (المروق) لا نرى لها معنى سوى ما بينه اللغويون وفسره المفسرون من ترك الخير إلى الشر والهدى إلى الضلالة أعاذنا الله من ذلك .

ولا أعتقد أن ناصح الدين ابن الحنبلي يقصد هذه المعاني البعيدة عن واقع التفسير ،والذي يظهر لي أن اسم الكتاب الحقيقي (البروق في التفسير) لأن البروق تعني الشيء اللامع ، إذ ان اللمعان والوميض والقبس والإشراق والإشعاع كلها معان تخطر ببال المتحدث عن القرآن الكريم برهان الله الساطع ونوره اللامع الهادي إلى سواء السبيل .

وكلمتا : المروق والبروق قريبتان من بعضهما في الرسم فالاحتمال وارد جداً بأنه تصحيف من النساخ وقد راجعت

المخطوطة المصورة في معهد المخطوطات بالقاهرة خشية أن يكون خطأ مطبعياً في مرآة الزمان فوجدتها (المروق في التفسير) ولا شك عندي بأنه تصحيف من الناسخ كما سبق ذكره.

أبواب الكتاب

وكما تقدم، فإن كتاب (البروق في التفسير) قد ذكره ابن ناصح الدين الحنبلي ضمن مؤلفات والده كما ذكره ناصح الدين نفسه في كتاب (استخراج الجدال من القرآن الكريم) حيث يقول: «وقد ذكرنا ذلك في كتاب البروق» الأمر الذي يؤكد لنا بالاضافة إلى ما ذكرنا آنفاً حول كتاب (الأقيسة) صحة نسبة (استخراج الجدال من القرآن الكريم) إلى المترجم له ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم، المعروف بابن الحنبلي.

أوضح المؤلف في مقدمة كتابه هذا بأنه يتألف من ثمانية أبواب، وهي:

الباب الأول: في ذكر الجدل في الكتاب العزيز والممدوح منه والمذموم.

الباب الثاني: أول من سن الجدال.

الباب الثالث: جدال الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه للأمم.

الباب الرابع : ذكر الأدلة وأنواعها على وجود الصانع سبحانه .

الباب الخامس : ذكر الأدلة على أنه واحد .

الباب السادس : ذكر أدلة البعث .

الباب السابع : ذكر الأدلة على رسالة محمد ﷺ من القرآن العزيز .

الباب الثامن : في السؤال والجواب ونكت من الجدل .

منهج المؤلف

ومنهج المؤلف جيد في استعراضه لموضوعات الجدال في القرآن الكريم وهو يدل على تمكنه في مادته العلمية ، وتصوره لجوانب الموضوع المتنوعة . وسترى هذا واضحاً في كل باب من أبواب هذا الكتاب ، وعلى الأخص (الباب الثامن) حيث استعرض فيه أنواع الاسئلة والأجوبة الجدلية من الكتاب العزيز . وعقد فيه عشرين فصلاً لموضوعات متنوعة من الأقيسة الأصولية والأجوبة الجدلية واللطائف القرآنية التي اشتمل عليها هذا الكتاب الصغير في حجمه ، الكبير في فائدته العلمية .

ولم أطلع فيما كتبه القدماء على كتاب يتحدث عن جدل القرآن الكريم أفضل من هذا الكتاب عرضاً وتبويباً واستنباطاً

للمسالك الجدلية في ايجاز ووضـوح وإذا كان لم يستوعـب جميع المواقف الجدلية في القرآن الكريم فكتـاب الله الـكريم كجنة فيحاء لا يعرف أين طرفاها .

أهمية الكتـــاب

قدم المؤلف معلومات قيمة في هذا الكتاب الذي يكاد يكـون أقـدم مرجع في جدل القرآن يعثر عليه حتى الآن إلا أن هذا الموضوع يحتاج إلى استيعاب أكثر لموضوعات الجدال في القرآن الكريم .

وقد اقتصر المؤ لف ـ رحمه الله ـ على الموضوعات الرئيسية للجدل . واضرب لذلك أمثلة ، منها : اقتصـاره في البـاب الأول في ذكر الجدل والحجة والسلطان على عدد المواضع التي ذكر فيهـا الجـدال ، ولـم يسرد الآيات ، بل لم يبـين مواضعها في القرآن ، ومنها اقتصـاره في البـاب الثالـث في جدال الأنبياء على عرض ثلاثة منهم وهم : نوح وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام ، ولعله قصد الايجاز ، ولكن كما أشرت آنفـا من ضرورة الاستقـراء والتوسع في هذا الموضوع لا سيما أن هذا المؤ لف كما قلت أقدم مرجع عرفناه ألف فـي جدل القرآن، ثم جاء نجم الـدين الطوفي المتوفى

سنة ٧١٦هـ[1]. فألف كتاباً في جدل القرآن لم أعثر عليه ويبدو أنه مفقود، وقد أشار إليه الامام السيوطي في كتابه (الاتقان في علوم القرآن)[2] حيث تحدث عن جدل القرآن فقال « . . . أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفي » ولكن يظهر أن الامام السيوطي لم يعثر على هذه المخطوطة التي بين أيدينا رغم أنه خاص بجدال القرآن، ومؤلفه متقدم على نجم الدين الطوفي في الزمن حيث ان ابن الحنبلي توفي سنة ٦٣٣هـ.

وجدل القرآن موضوع حيوي لأنه يناجي العقل والضمير معاً ، ويصور مواقف الصراع بين الحق والباطل فيعيش معه القارىء في متعة وجدانية غامرة ، والتسلسل المنهجي الذي اتبعه المؤلف جيد جداً لأنه يقرر الجدال الممدوح والمذموم حتى يكون السامع على بصيرة بما يقدم عليه ، ثم يذكر أول من سن الجدال ويتبعه بجدال الأنبياء لأممهم ثم يستعرض أدلة الوجود والوحدانية لله تعالى ، ويقرر أدلة البعث ، ثم يذكر رسالة محمد ﷺ وشمولها ، ويختم كتابه بالأسئلة والأجوبة الجدلية الواردة في القرآن الكريم . وهو اسلوب شيق يضاعف نشاط القارىء ويمهد له سبيل الفهم ويبسط

---

(١) انظر : شذرات الذهب ج ٦ ص ٣٩ ، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٩٥
(٢) الاتقان ج ٤ ص ٥٢

أمامه المعلومات في وحدة موضوعية متناسقة .

لقد جمع الناصح ابن الحنبلي في هذا الكتاب الخير الكثير لهذا حرصت على تحقيقه وإخراجه لفائدته العلمية حتى يكون في متناول الباحثين والمهتمين بالدراسات القرآنية .

عرض الكتـــاب

سبق أن ذكرت بأن صلتي بهذا الكتاب ترجع إلى أيام دراستي في مرحلة الدكتوراه وقد عثرت على هذه النسخة صدفة كما أشرت آنفاً فقمت بنسخها والتعليق عليها ، وعندما رأيت أنها جديرة بالتحقيق والنشر أعدت دراستها وبذلت جهدي في الحصول على نسخة أخرى لمقابلتها بها ولكنها كانت مخطوطة يتيمة ، فعزمت على التحري ودراستها دراسة مستفيضة ومقارنتها بالمطبوعة عنها ضمن مجموعة الرسائل المنيرية كما سبق الإشارة إلى ذلك .

وقد وجدت اختلافات يسيرة بين المطبوعة والمخطوطة أو الاضافات في المطبوعة فأشرت إلى ذلك في الحاشية ، وما لم يتضح في أصل المخطوطة جعلت الكلمة البديلة بين قوسين وأشرت إليها في الحاشية أيضاً . وصححت ما وقع في بعض الآيات من خطأ الكاتب كما في قوله تعالى :

« وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ[1] » فقد جاء الخطأ في المخطوطة والمطبوعة معاً « وجاءهم الموت من كل مكان » وكذلك بعض العبارات اللغوية أو العلمية وهي لا تؤثر على جوهر الكتاب ومادته العلمية. فالكمال لله وحده. وقد جاءت الآيات القرآنية في كل من المخطوط والمطبوع وفق بعض المصاحف التي راعت كتابة حرف المد المفتوح أَلِفاً كجنَّات (جَنَّٰتٍ) ويا قوم (يقومِ) فأبقيتها على ما هي عليه.

وبعد، فإن هذه المخطوطة فريدة نادرة وهي جديرة بما تستحقه من دراسة وعناية، وقد بذلت فيها جهداً متواضعاً أرجو به من الله المثوبة. وها هي بين يديك أيها القارئ الكريم، والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لخدمة كتابه العزيز والعمل به وبسنة رسوله الكريم. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الرياض ١/١/١٤٠٠ هـ
الموافق ٢٠/١١/١٩٧٩ م

الدكتور زاهر بن عواض الألمعي

---

(١) سورة يونس الآية ٢٢.

٢٤٠ رواق الأتراك

وفيه قصة مخالفة ابليس لعنه الله وحجج الانبياء عليهم السلام مع اقوامهم

كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم

تصنيف الشيخ الامام زين الدين
ابي الفرج عبد الرحمن بن نجم الدين عبد الوهاب
المعروف بابن الحنبلي الشيرازي

المتوفى سنة ٦٣٤

وقف ... على رواق الاتراك بالجامع الازهر

رواق الاتراك
٢٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر وأعن يا كريم

قال الشيخ الإمام ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب
الأنصاري ابن الحنبلي [illegible] الحمد لله الحاوي كتابه أنواع العلوم الوارد
أمره على الموجودات المعدوم المشرف خطابه لذوي العقول والحلوم
الضارب الأمثال لأرباب الألباب والفهوم القاضي بالحق والعدل الفاصل
بين الظالم والمظلوم يوم اجتماع الخصوم مبرم الأمور
بقضاء محتوم منزل الآيات بقدر معلوم ومعلم الإنسان البيان
في الأمر المظنون والحكم المجزوم شارع السبل المأمون من
الكتاب المصون على لسان النبي المعصوم أحمده حمدا غير منقوص
ولا مخصوص وأومن به إيمانا غير مظنون ولا موهوم وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي من حر نار السموم
منجية بتكفير ذنب المأثوم وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
الحاكم بشرعه على كل حاكم من البرية ومحكوم المفضل جمعه
على كل منفرد من الخلق وملوم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
الذين لا تحصى فضائلهم بمنثور ولا منظوم ولا تجهل مآثرهم
إلى يوم الوقت المعلوم وبعد فإن الفقهاء رضي الله
عنهم أرباب [illegible] المحرزين أدلة العبر تداولوا في مذاهب
الجدال ما [illegible] من الاستدلال وتقرير الجواب والسؤال
إلى الآن الأمر [illegible] اصطلاحي منقوض مثله وربما نسخ

الصفحة الأولى من المخطوط

٢

اصطلحنا اصطلاح بوعمرو غندجومرا وليسهله للمذهب
الذي يرسخ ولا ينسخ ونعلو فرعه ويشمخ ملكا نحيا من
حياة القلوب وسقيناه من الشراب الطهور المنتقا من
الغيوب الكاسف أسرار الغيوب لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقد استخرت
الله تعالى في استنباط طريق من طرقه واسكان
بعض القاصدين لهذا الفن غرفة من غرفه. وهذا
الكتاب يشتمل على ثمانية ابواب لكل باب فصل في فصل
الخطاب ولكنه وقف على ذوي الحلوم والالباب
ومشارع هذه الابواب من الكتاب المعصوم من الزلل
والارتياب الباب الاول في ذكر الجدل في الكتاب
العزيز والممدوح منه والمذموم الباب الثاني اول
من سن الجدال الباب الثالث جدال الانبيا صلوات الله
عليهم وسلامه للامم الباب الرابع ذكر الادلة وانواعها
في وجود الصانع سبحنه الباب الخامس ذكر الادلة
على أنه واحد الباب السادس ذكر ادلة البعث الباب
السابع ذكر الادلة على رسالة محمد صلى الله عليه من
القران العزيز الباب الثامن في اسئولة الكتاب
ونكت من الجدل فهذه ثمانية أبواب وعلى توفيق الله نعتمد

الصفحة الثانية من المخطوط

قليل الكفر وكثيره سواء في استحقاق الكفر القتل واستيجاب
النار والتوبة مقبولة في قليله وكثيره فلا معنى
لزيادة الكفر الا ابطان الكفر واظهار الايمان
والله تعالى اعلم بكتابه واسرار خطابه

بلغ عرضا بأصله

علقه من خط نسخة مسموعة اقضى القضاة
شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم
القرشي لنسخة العلامة مسموعة صلاح الدين
[illegible] الموصوم
[illegible] عبد الله
[illegible]
[illegible] ابو عبد الرحمن [illegible]
والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

[illegible]

٢٤ ورقة
١٩ سطرا

الصفحة الأخيرة من المخطوط

كتاب استخراج الجدال

من القرآن الكريم

تصنيف

الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم

المعروف بابن الحنبلي

ولد سنة ٥٥٤ - وتوفي سنة ٦٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم يسر وأعن يا كريم

قال الشيخ الامام ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري ابن الحنبلي :

الحمد لله الحاوي كتابه أنواع العلوم الدال أمره على الموجود والمعدوم ، المشرف خطابه لذوي العقول والحلوم ، الضارب الأمثال لأرباب الألباب والفهوم ، القاضي بالحق والفاصل بين الظالم والمظلوم يوم اجتماع الخصوم مبرم الأمور بقضاء محتوم ، منزل الماء بقدر معلوم ومعلم الانسان البيان في الأمر المظنون والحكم المجزوم ، شارع السبيل المأمون من الكتاب المصون على لسان النبي المعصوم .

أحمده حمداً غير منقوص[1] ولا مهضوم وأومن به ايماناً غير مظنون ولا موهوم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقي حر

---

(١) في المطبوع : مبغوض

نار السموم وتفى[1] بتكفير ذنب المأثوم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الحاكم بشرعة[2] على كل حاكم من البرية ومحكوم المفضل جمعه على كل مفرد من الخلق وملموم . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لا تحصى فضائلهم بمنثور ولا منظوم ، ولا تجهل مآثرهم إلى يوم الوقت المعلوم .

وبعد ، فإن الفقهاء رضي الله عنهم أرباب النظر[3] المحرزين[4]، أدلة العبر، قد ألفوا في مذاهب الجدال، ما يتضمن[5] تحرير الاستدلال وتقرير الجواب والسؤال ، إلا أن الأمر الاصطلاحي منقوض وربما نسخ اصطلاحاً اصطلاح بوعره عند قوم أو بسهله ، والمذهب الذي يرسخ ولا ينسخ ، ويعلو فرعه ويشمخ ، ما كان مجناه من حياة القلوب ، وسقياه من الشراب الطهور المنقى من العيون، الكاشف لأسرار الغيوب، « لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ

(١) جاءت تفيء في كل من المخطوط والمطبوع

(٢) في المطبوع : بشرعه .

(٣) هكذا في المطبوع ، ولم تظهر في المخطوطة لوجود خرم بسيط .

(٤) في المطبوع : المحررين .

(٥) هكذا في المطبوع ، ولم تظهر واضحة في المخطوطة ولكن السياق يدل عليها أو على كلمة مرادفة لها .

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ[1]» .

وقد استخرت الله تعالى في استنباط طريق من طرقه ، واسكان بعض القاصدين لهذا الفن غرفة من غرفه .

وهذا الكتاب يشتمل على ثمانية أبواب لكل باب فضل في فصل الخطاب ، ولكنه وقف على ذوي الحلوم والألباب ، ومشارع هذه الأبواب من الكتاب المعصوم من الزلل والارتياب :

الباب الأول : في ذكر الجدل في الكتاب العزيز والممدوح منه والمذموم .

الباب الثاني : أول من سن الجدال .

الباب الثالث : جدال الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه للأمم .

الباب الرابع : ذكر الأدلة وأنواعها على وجود الصانع سبحانه .

الباب الخامس : ذكر الأدلة على أنه واحد .

الباب السادس : ذكر أدلة البعث .

---

(١) سورة فصلت آية ٤٢ .

الباب السابع : ذكر الأدلة على رسالة محمد ﷺ[1] من القرآن العزيز .

الباب الثامن : في السؤال والجواب ونكت من الجدل .

فهذه ثمانية أبواب وعلى توفيق الله سبحانه الإحالة بالصواب .

(١) كانت في المخطوطة هكذا (صلى الله علم) فجعلتها كما هو أعلاه .

الباب الأول
في
ذكر الجدل والحُجّة

في ذكر الجدل والحجة :

اعلم أن الله سبحانه ذكر لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعاً[1] ، ولفظة الحجة وما تصرف منها في سبعة وعشرين موضعاً[2] ولفظة السلطان أيضاً في ثلاثة وثلاثين موضعاً[3] الجميع المراد به الحجة سوى

(١) يشير الى الآيات : ١٩٧ من سورة البقرة ، و١٠٧ و١٠٩ من سورة النساء ، و٢٥ و١٢١ من سورة الأنعام ، و٧١ من سورة الأعراف ، و٦ من سورة الأنفال ، و٣٢ و٧٤ من سورةهود،و١٣ من سورة الرعد ، و١١١ و١٢٥ من سورة النحل ، و٥٤ و٥٦ من سورة الكهف ، و٣ و٨ و٦٨ من سورة الحج ، و٤٦ من سورة العنكبوت ، و٢٠ من سورة لقمان ، و٤ و٥ و٣٥ و٥٦ و٦٩ من سورة غافر ، و٣٥ من سورة الشورى ، و٥٨ من سورة الزخرف ، و١ من سورة المجادلة .

(٢) يشير إلى الآيات : ٧٦ و١٣٩ و١٥٠ و١٥٨ و١٨٩ و١٩٦ و١٩٧ و٢٥٨ من سورة البقرة ، و٢٠ و٦١ و٦٥ و٦٦ و٧٣ و٩٧ من سورة آل عمران و١٦٥ من سورة النساء و٨٠ و٨٣ و١٤٩ من سورة الأنعام ، و٣ و١٩ من سورة التوبة و٢٧ من سورة الحج ، و٢٧ من سورة القصص ، و٤٧ من سورة غافر و١٥ و١٦ من سورة الشورى ، و٢٥ من سورة الجاثية .

(٣) يشير إلى الآيات : ١٥١ من سورة آل عمران ، ٩١ و١٤٤ و١٥٣ من =

= سورة النساء ، و٨١ من سورة الأنعام ، و٣٣ و٧١ من سورة الأعراف و٦٨ من سورة يونس ، و٩٦ من سورة هود ، و٤٠ من سورة يوسف ، و١٠ و١١ و٢٢ من سورة إبراهيم ، و٤٢ من سورة الحجر ، و٩٩ و١٠٠ من سورة النحل ، و٣٣ و٦٥ و٨٠ من سورة الاسراء ، و١٥ من سورة الكهف ، و٧١ من سورة الحج ، و٤٥ من سورة المؤمنون ، و٢١ من سورة النمل ، و٣٥ من سورة القصص ، و٣٥ من سورة الروم ، و٢١ من سورة سبأ ، و٣٠ و١٥٦ من سورة الصافات ، و٣٣ و٣٥ و٥٦ من سورة غافر ، و١٩ من سورة الدخان ، و٣٨ من سورة الذاريات ، و٣٨ من سورة الطور ، و٢٣ من سورة النجم ، و٣٣ من سورة الرحمن ، و٢٩ من سورة الحاقة .

ولفظة (سلطان) وردت في القرآن سبعاً وثلاثين مرة في سبعة وثلاثين موضعاً حسب الاستقراء ، وليست ثلاثة وثلاثين كما ذكر المؤلف ، إلا إذا فرق بين ورودها بمعنى الحجة ، وورودها بمعنى الملك والقوة فستأتي النتيجة أيضاً على خلاف ما أورده ،

والمتتبع للآيات المشار إليها آنفاً يجد أن لفظة (السلطان) وردت في القرآن على وجهين [أشار إلى قريب من هذا صاحب اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم الفقيه الدامغاني ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣] :

الأول بمعنى الحجة والبرهان : كقوله تعالى : « أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزَّل الله بها من سلطان » سورة الأعراف ، الآية ٧١

والوجه الثاني بمعنى الملك والقوة ، كقوله تعالى حكاية عن إبليس : « وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي » سورة إبراهيم ، آية ٢٢ وقوله تعالى : « . . . فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » سورة الرحمن الآية ٣٣

اعلم أن المؤلف رحمه الله عند حصره لمواضع لفظة (الجدل) ولفظة (الحجة) ولفظة (السلطان) في القرآن الكريم لم يكن دقيقاً في حصرها ، كما انه خلط بين الموضع بمعنى المرة الواحدة وبين الموضع بمعنى الآية الواحدة ، والنتيجة تختلف تبعاً لذلك : =

موضع واحد في الحاقة: «هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ»[1] وقيل: المراد به الحجة.

فأما الجدل فهو مذموم في كل موضع[2] ذكر إلا في ثلاثة مواضع:

أحدها في النحل: « ٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بالتي هِيَ أَحْسَنُ »[3].

= فلفظة (الجدل) وماتصرف منها ذكرت في القرآن تسعاً وعشرين مرة في سبع وعشرين آية، فهل يقصد المؤلف بالموضع المرة الواحدة أم الآية الواحدة؟

وكذلك لفظة (الحجة) وما تصرف منها إن كان يريد من كلامه مادة: ح ج ج وما تصرف منها فقد وردت في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة في ست وعشرين آية، فهل يقصد بالموضع هنا المرة الواحدة أم الآية الواحدة؟ وقد اختلفت النتيجة في كلتا الحالتين عما أورده. أما إن كان يريد بالحجة وما تصرف منها لفظة (الحجة) التي هي بمعنى الدليل فقد وردت في القرآن عشرين مرة في سبع عشرة آية، وبهذا الاعتبار اختلفت النتيجة عما أورده كما أسلفت.

وكذلك لفظة (السلطان) وردت في القرآن الكريم سبعاً وثلاثين مرة في سبع وثلاثين آية كما سبق.

(١) سورة الحاقة، آية ٢٩

(٢) يقصد المؤلف بهذا كل موضع ذكر فيه لفظ الجدل، ولا يسري هذا الذم على تقرير الحق ودفع الباطل وإقامة الحجج والبراهين عن طريق المحاورات والمناظرات فإن هذا من وسائل البلاغ لرسالات الله والدعوة إليها. وقد فصلت القول في بحث كامل عن الجدال الممدوح والجدال المذموم في كتابي « مناهج الجدل في القرآن الكريم ». ص ٤٤ - ٦٠.

(٣) سورة النحل آية ١٢٥

الموضع الثاني في العنكبوت : « وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »[1] .

الموضع الثالث في المجادلة : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا »[2] وهذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة الأنصارية[3] كانت تحت زوجها أوس بن الصامت[4] والقصة مشهورة[5] .

فأما قوله سبحانه : « وَجَادِلْهُمْ بِالتي هِيَ أَحْسَنُ » فيحتمل أن يكون المراد بالأحسن الأظهر من الأدلة ويحتمل

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٦

(٢) سورة المجادلة آية ١

(٣) مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه [بخولة بنت ثعلبة] على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وهو واقف يسمع كلامها ، فقيل له أيا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ؟ فقال : والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز ؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر ؟ (انظر : تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٢٧٠) .

(٤) أخو عبادة بن الصامت الأنصاري ، ذكروه فيمن شهد بدراً والمشاهد ، مات سنة ٣٦ هـ بالرملة . ذكره ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ١٥٦ و١٥٧ .

(٥) راجع هذه القصة في كتب التفسير والسير مثل تفسير الطبري ج ٢٨ ص ١ و٢ ، والقرطبي ج ١٧ ص ٢٦٩ وابن كثير ج ٤ ص ٣١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٣٧٨ .

بالتعجيز عن الاتيان بمثل القرآن لأنه أحسن الأدلة نظاماً وبَيَاناً ، وأكملها حسناً وإحساناً ، وأرجحها من الثواب ميزاناً، وأوضحها على اختلاف مدلولاتها كشفاً وبرهاناً، ويحتمل بالاصغاء إلى شبههم والرفق بهم في حلها ودحضها ويحتمل بترك الغلظة عليهم في حال جدالهم لتكون الحجة عليهم أظهر والجحد منهم أنكد ، وهي سنة الأنبياء عليهم السلام مع الأمم عند الدعوة والمجادلة ، من ذلك لما قالوا لمحمدﷺ مجنون قال : « وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ »[1] أي جنون[2]؛ من غير أن يقابلهم على ذلك بقول خشن مع

(١) سورة الأعراف آية ١٨٨

(٢) مما تجدر الاشارة إليه في هذا المقام أن ضماد بن ثعلبة الأزدي رضي الله عنه وهو رجل من أزد شنوءة قدم إلى مكة ، وكان يرقي من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من سفه مكة يقولون : إن محمداً مجنون ، فقال : أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟ قال : فلقيت محمداً فقلت : إني أرقى من هذه الرياح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهلّم . فقال محمدﷺ (إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ثلاث مرات) فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهلّم يدك أبايعك على الاسلام فبايعه رسول اللهﷺ فقال : وعلى قومك ؟ فقال: وعلى قومي : فبعث النبيﷺ جيشاً فمروا بقوم ضماد ، فقال صاحب الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً ؟ فقال رجل منهم : أصبت منهم مظهرة (والمظهر : البعير التي أتت عليه الظهيرة وهو يرعى) . فقال: ردها عليهم فإنهم قوم ضماد .

النخوة العربية والعزة الهاشمية . وقالوا لنوح عليه السلام : « إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ . . .قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون »[1] وقالوا له: « إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ »[2] .

وقالوا لصالح: «إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً . . . . *قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبون»[3].

وقالوا لهود : « إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ »[4] .

فلو قابلهم الأنبياء بغلظة لنفرت طباعهم وانصرفت عقولهم عن التدبر لما قالوا والتدبر لما جاءوا به من البينات فلم تتضح لهم المحجة ولم تقم عليهم الحجة[5].

(انظر السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٥٢ ، والاصابة لابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ٤٨٦ وأسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٦ .

(١) سورة المؤمنون آيتا ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) سورة الأعراف آيتا ٦٠ ـ ٦١

(٣) سورة المؤمنون آيتا ٣٨ ـ ٣٩

(٤) سورة الأعراف آيتا ٦٦ ـ ٦٧

(٥) وقد دلت الآيات القرآنية على هذا المعنى فقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: [ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك] سورة آل عمران آية : ١٥٩ . وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : [اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً =

وشاهد هذه الحالة قوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّـقِ اللَّـهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ »[1] .

= ليِّناً لعله يتذكر أو يخشى] سورة طـه آية : ٤٤ . وقد أرشد الله تعالى محمداًﷺ بأن يقول للمشركين . . [وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين . .] سورة سبأ آية ٢٤ . وفي هذا غاية التخلي عن التعصـب دون معرفـة وجهـة نظـر الآخرين ثم الدخول معهم في سياسة جدلية هادئة هدفها الوصول إلى الحقيقة وإقامة الحجة والبرهان من أقرب الطرق وأيسرها وهذا أرقى ما يمكن أن تتخلق به البشرية في مجادلاتها وهو من أنفع الاساليب الناجحة في الدعوة إلى الله واقناع الآخرين .

(١) سورة البقرة آية ٢٠٦

الباب الثاني
في
أول مَن سَنّ الجدَال

أول من سن الجدال: الملائكة صلوات الله عليهم حيث قالوا: «أَتَجْعَلُ فيهَا مَنْ يُفْسِدُ فيهَا وَيَسْفِكُ الْدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ »[1] وهذا منهم استدلال بالترجيح[2] والأولوية أي من سبح وقدس لك هو أولى بالإيجاد والجعل فيها ممن يفسد فيها ويسفك الدماء وكان جواب الله لهم بالترجيح أيضاً من جهة أخرى ولهذا لم يرد عليهم قولهم إذ قد علم سبحانه أن الذي ظنوه فيهم ووصفوهم به كائن بل عدل الله سبحانه إلى أمر مجمل فقال: « إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ »[3] من ترتيب خلقي وتدبير صُنعي المحوط بالحكمة

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠

(٢) جدال الملائكة من قبيل الاسترشاد ومعرفة الحكمة فيا لم تظهر لهم فيه حكمته، وليس جدالهم من قبيل الاعتراض على حكم الله وتدبيره، وقد بسطت الكلام عن جدال الملائكة وجدال إبليس وأوضحت البواعث والفروق في كتابي (مناهج الجدل في القرآن الكريم) ص ٣٤ ـ ٤٣

(٣) سورة البقرة آية ٣٠ .

الدالِ على القدرة فإني خلقت الملائكة من نور لا ظلمة فيه فكان منهم الخير المحض بإرادتي ، وخلقت الشياطين من ظلمة نار السموم وهو المارج فكان منهم الشر المحض بإرادتي ، وخلقت آدم وذريته من نور[1] وظلمة فكان منهم الخير والشر بإرادتي ، ووضعت فيهم عقلاً يرشد إلى المصالح

---

(١) كلام ابن الحنبلي في هذا الموضع والذي قبله فيه نظر ، فقوله [. . . وخلقت الشياطين من ظلمة نار السموم . . .] أما كونهم خلقوا من نار فثابت مقرر مقطوع به ، ولكن من أين أنهم خلقوا من ظلمة « النار » ؟ وقد تتبعت أقوال أهل اللغة والمفسرين في ذلك فلم أجد من قال إن المارج هو ظلمة النار وإنما قالوا بأنه لهب فيه سواد والأكثر أنه لهب خالص لا سواد فيه.

أما قوله [. . . وخلقت آدم وذريته من نور وظلمة . . .] فالثابت أن آدم عليه السلام خلق من طين فكيف يقال إنه خلق من نور وظلمة ، ومثل هذه الأمور غيبية لا تعرف إلا بالوحي ، وإن الله تعالى قال : «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون » سورة الحجر آية ٢٦ .

والمراد بالانسان آدم عليه السلام ، والصلصال الطين اليابس الذي لم تصبه النار ، أو الطين المنتن ، أو طين خلط برمل فصار له صوت عند نقره كما ذكره ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير عن جماعة من أهل التفسير واللغة» ، ج ٤ ص ٣٩٧ .

أما الحمأ : فهو الطين المتغير قال ابن الانباري : لا خلاف في أن الحمأ : الطين الأسود المتغير الريح ، وقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :[خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم] صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٩٤ فيكفينا في مثل هذه الأمور الغيبية الوقوف عند ما ورد في كتاب الله تعالى وصح من سنة رسول الله ﷺ .

ونفساً ميالة إلى الهوى المردي ، وأمددت الفريقين بجندين يسوقان العقل والنفس إلى ما سبق من التقدير الناشئ عن علم التدبير وكان حكمي في هذين الفريقين أن من غلب عقله على هواه فهو من الناجين ومن غلب هواه على عقله فهو من الهالكين وهذا ما اشتمل عليه « إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ »[1] .

ومما اشتمل عليه « إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ » أنِ اختلاف الصنائع أدل دليل على قدرة الصانع ومما اشتمل عليه « إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ » أني ركبت فيهم من الشهوة ما لو ركبته فيكم لفعلتم فعلهم أو لم تطيقوا صبرهم على أنهم قد أحبوني محبة بذلوا فيها أبدانهم للتمزيق ، ودماءهم للإراقة ، وأرواحهم للذهاب ، ومنهم الصابرون على أنواع المكاره ، والصائمون في الهواجر والعابدون على ضعف القوى ، والناهون نفوسهم مع قوة الهوى ، ويرون ذلك المر حلواً في رضائي وتسلياً لقضائي وقدري يسابق كل ولِّي منهم بالعبادة أجله يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة فظهرت حكمة الله عز وجل في خلقهم ورجحت حجة الله سبحانه على الملائكة في قدحهم[2] .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٢) يقصد بقدح الملائكة هنا ما ذكروه عن استخلاف آدم وذريته في الأرض =

فأما إبليس فهو أول من أظهر الخلاف وركب العناد وسار في البلاد . والفرق بينه وبين الملائكة أن الملائكة لم يظهر منهم خلاف ولا عصيان بل طلبوا بسؤالهم الايضاح والبيان وإبليس أفتى ودل في مسألته فانقطع في مجادلته وخسر في كرته وبان فساد تعليله وازاغته عن الصواب في تأويله إنه قال : « خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ[1] » ومعناه أن النار جوهر لطيف شفاف له قوة الاشراق وسلطان الاحراق . والطين جسم مظلم كثيف ليس باللطيف ولا الخفيف . والسجود خدمة تتضمن تعظيم المسجود له والأولى بها الأعلى منهما . هذا منتهى كلامه ومضمون قوله وهو مردود عليه من وجوهٍ :

منها أنه عارض النص بالقياس وهو فساد في الاعتبار وعدم استبصار لأن العمل بالنص مقدم على القياس لأن سهام القياس تصيب مرة وتخطئ أخرى وكلام المعصوم المنزه عن الغلط والزلل لا يخطئ .

ومنها أن الماء والتراب والهواء والنار أصول الأجسام ومواد المركبات فلا يقوم جسم إلا باجتماعها وإذا كانت متكافئة في

= وانهم سيفسدون فيها ، ويسفكون الدماء ، ولا يتصور أنهم يقدحون في حكمة الله وتدبيره كما تقدم ايضاح ذلك قريبا وكما ذكر المؤلف بعد هذا .

(١) سورة الأعراف آية ١٢

التأثير فاختصاص أحدها بالأفضلية لا دليل عليه ومنها أن الطين اشتمل على أصلين من الأصول الأربعة وهو[1] الماء والتراب فكيف يكون أصل واحد خيراً من أصلين متكافئين . وعلى تقدير تسليم التفاضل فالماء أفضل لأن سلطانه يقهر سلطان النار إذا التقيا .

ومنها على تقدير صحة قياسه فالترجيح للسجود من وجهين :

أحدهما أن مصلحة امتثال الأمر راجحة على الامتناع لأن امتثال الأمر آمن من العقاب المرتب على المخالفة .

الوجه الثاني أن الامتناع من السجود بهذا التعليل المذكور من جهته يلزم منه تخطيه الامر ونسبته إلى وضع الشيء في غير موضعه وذلك في غاية الجناية على الإله الحكيم وقد قال بعض المتكلمين إن كل شبهة وقعت في الملل فأصلها من شبهتي إبليس .

قال المصنف بل هي شبهة واحدة مطردة في كل مذهب فاسد وقد ذكرنا ذلك في كتاب البروق[2] .

---

(١) في المطبوع : وهما ، وهو الأصح .

(٢) أشار الى هذا الكتاب صاحب مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٠٠ ولكن وقع فيه محرفا بلفظ (المروق في التفسير) وقد أوضحت في مقدمة هذا الكتاب أنه =

وأما الحجة فهي عبارة عن دليل الدعوى وقد تطلق على الشبهة أيضاً لأنها مستند المخالفة . قال الله تعالى : « حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ »[1] . وقال تعالى : « لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ »[2] وقوله تعالى : « فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ »[3] أي الدليل القاطع الذي لا يعارضه معارض وذلك قوله تعالى : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ »[4] .

وقد قيل في قوله تعالى إخباراً عن إبليس : « وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ »[5] أي حجة[6] وإنما غرهم بالشبهة فالحجة حقيقة في الدليل مجاز في الشبهة .

= تصحيف لكلمة (البروق) التي هي الأصح .

(١) سورة الشورى آية ١٦

(٢) سورة النساء آية ١٦٥

(٣) سورة الأنعام آية ١٤٩

(٤) سورة الأنعام آية ٨٣

(٥) سورة ابراهيم آية ٢٢

(٦) تفسير (السلطان) هنا بمعنى الملك والقهر والتسلط أولى ، لأن المقام مقام تنصل من تبعية الأغواء زيادة في التبكيت لمن أغواهم الشيطان ، أي ما كان لي عليكم من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي ولكن دعوتكم فاستجبتم لدعوتي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم .

الباب الثالث
في
جدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للأمم

في جدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للأمم :

أولهم جدال نوح عليه السلام[1]، قال :

« . . . اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً * مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ

---

(١) يفهم من كلام المؤلف رحمه الله أن نوحاً عليه السلام أول الأنبياء وليس كذلك فإن أولهم آدم عليه السلام ، ودليل ذلك في القرآن والسنة . فأما القرآن فقوله تعالى في شأن آدم [. . فإما يأتينّكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون] سورة البقرة آية : ٣٨ ففي هذا وعد بالهدى من الله وإشعار بالرسالة ، ورسالة آدم إلى ذريته وهو مكلمٌ من قبل الله تعالى . وقوله تعالى [ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى] سورة طه آية ١٢٢ والظاهر أن الله تعالى اجتباه بعد المعصية وتاب عليه واصطفاه للرسالة . وأولاد آدم عليه السلام أمة تتطلب الهداية من الله تعالى.

بِسَاطاً * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً »[1] وقال تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ إنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِين * أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إلّا اللَّهَ إِنِّـي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أليم * فَقَالَ المَلأُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَ رَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِين »[2] أجابهم نوح عليه السلام بالحجة العظمى فقال : « يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي »[3] إلى هنا هي الحجة العظمى ، وهذه الحجة العظمى هي التي أضافها الله عز وجل إلى نفسه في قوله : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيناها إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ »[4] وقد أشبعنا القول فيها في كتاب الحجة العظمى[5] « قالوا يَا نوحُ قَدْ جادَلتَنَا فأَكْثَرتَ جِدالَنَا فأتِنا بِمَا

= كما يدل على رسالته عموم قوله تعالى [وإن من أمة إلا خلا فيها نذير] سورة فاطر آية : ٢٤ ، وقوله [ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً] سورة النحل آية : ٣٦ .

وقول النبي ﷺ [. . أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر . . . وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي . .] رواه الترمذي في سننه ج ٩ ص ٢٣٩ .

(١) سورة نوح الآيات ١٠ ـ ٢٠

(٢) سورة هود الآيات ٢٥ ـ ٢٧

(٣) سورة هود آية ٢٨

(٤) سورة الأنعام آية ٨٣

(٥) لم أر ذكراً لهذا الكتاب ممن ترجموا للمؤلف فيما اطلعت عليه .

تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ»[1].

جدال إبراهيم وحجاجه وله ثلاث[2] مقامات :

الأول مع نفسه

الثاني مع أبيه

الثالث مع نمرود وقومه .

الأول : رأى كوكباً قال هذا ربي إلى آخر القصة . وجه استدلاله أنه رأى إنارة الكوكب وحسنه وعلو مكانه ولم ير قبله مثله فقال هذا ربي بناء على أن الرب لا ينبغي أن يكون له مثل فلما أفل أدرك نقصه وعيبه لأن الأفول تغير ، والتغير حدوث والكامل لا يجوز عليه الحدوث لأنه صانع الحدوث وطرد القياس في الاثبات والنفي على باقي الكواكب بالاعتبار الأول ومن حيث علم أنها مكونة مصنوعة علم أنها لا بد لها من صانع هو أكمل منها ، فقال : « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ »[3] ليدخل في ذلك الكواكب التي اعترضته في طريق الاستدلال[4] .

---

(١) سورة هود آية ٣٢

(٢) هكذا في المخطوطة والمطبوعة ولعله خطأ من الناسخ والصواب (ثلاثة) .

(٣) سورة الأنعام الآية ٧٩ .

(٤) ظاهر كلام المؤلف أن إبراهيم عليه السلام كان في كلامه هذا ناظراً ولم =

المقام الثاني مع أبيه : قال الله تعالى :

« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَالا يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا

= يكن مناظراً ، وهذا مخالف لما تقرر عند اكثر المحققين من علماء الاسلام ، والصحيح أنه كان مناظراً ليهدم معتقدات قومه في الكواكب التي يعبدونها من دون الله كما رجحه الحافظ ابن كثير في تفسيره وغيره من المحققين وسوق الدليل على جهة الإلزام غير سوقه على جهة الالتزام .

ولا يجوز لمؤمن أن يعتقد أن ابراهيم عليه السلام لم يعرف ربه حتى قال بأن الكوكب ربه ، كيف وقد امتن الله على ابراهيم عليه السلام بأمور عظيمة ومنها انه آتاه رشده كما قال تعالى [ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين] سورة الأنبياء آية ٥١ .

ومنها أنه آتاه الحجة العظمى على قومه [وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه . . .] ومنها أنه مدح إبراهيم بأنه [لم يك من المشركين] .

وهذه السياسة الجدلية التي اتبعها إبراهيم عليه السلام في هذا المقام قد اتبع مثلها في مقام آخر حيث حطم الاصنام وأفحم قومه بأن الاصنام لا تملك نفعا ولا ضراً بل لا تجلب لأنفسها خيراً ولا تدفع عنها شراً ، وقد مدح الله ابراهيم وامتن عليه بأن اعطاه الحجة على قومه ، فهل تعني الحجة وقوعه في الشرك ؟ أم أنها تعني هدايته لهدم معتقدات قومه بالحجة القولية والحجة التطبيقية العملية ، وقد بسطت الحديث عن هذا الموضوع وأوردت كلام العلماء وناقشت جميع الأدلة في كتابي (مناهج الجدل في القرآن الكريم) ص ١٦١ ـ ١٨٤ .

إِبْرَاهِيم لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ واهْجُرْنِي مَلِيّاً »[1] فكان جواب أبيه جواب جاهل لأنه قابله على نصحه له بالرجم والهجر أشبه جواب قومه ، وما كان[2] جواب قومه إلاّ أن قالوا : « حَرِّقُوهُ وانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ »[3] .

المقام الثالث مع النمرود وقومه وهو قوله تعالى: « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ واللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»[4] فالصادر من خصمه معارضة إلا أنها فاسدة لأن حقيقة الإحياء والإماتة التي فسرها خصمه غير الذي قصده[5] إبراهيم فلا يخلو حال نمرود إما أن يكون ما فهم حقيقة الإحياء والاماتة ، أو فهم إلا أنه قصد المصادمة والمباهتة وكلاهما يوجب العدول إلى

---

(١) سورة مريم آيات ٤١ ـ ٤٦

(٢) في المطبوع ضم آية [وما كان جواب قومه . . .] مع الآية بين قوسين وهي ليست من الآية .

(٣) سورة الأنبياء آية ٦٨ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٨

(٥) الاحياء والإماتة التي قصدها النمرود هي أنه يعفو عمن أستحق القتل فيكون قد أحياه أي وهبه الحياة ، ويعدم من يشاء من الناس بالقتل فيكون قد سلبهم الحياة .

دليل يفضح معارضته ويقطع حجاجه ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمة الانتقال إلى دليل آخر أقرب إلى الفهم وأفلج للحجة وسيأتي نظيره في قصة موسى عليه السلام قال الله تعالى: «وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قال أَتُحَاجونِّي في اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ»(1).

وذكر الحجة العظمى فقال: (وَكَيْفَ أَخَافُ) إلى قوله: « فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ »(2).

وقد شرحنا هذا في كتاب الحجة العظمى.

فإن قيل ما الحكمة انه جادل الملك بالاحياء والإماتة والاتيان بالشمس من المشرق وكل ذلك يمكن دعوى المعارضة(3) له والكلام عليه ولم يدعه بالحجة العظمى وجادل

= أما قصد إبراهيم عليه السلام بالاحياء والإماتة، فهو: أن الله تعالى (يحيي) أي يهب الحياة لما يشاء من الأجسام فتنمو وتتحرك فتؤتي ثماراً مادية ومعنوية وتختص بميزات الحياة المعروفة في علم الاحياء ثم ينزع عنها الحياة فتموت وتعود إلى بسيرتها الأولى وعلى هذا فإن القاتل أو العافي عمن استحق القتل لا يقال بأنه [يحيي ويميت]، وإنما هو سبب في الإحياء أو الإماتة، كالسكين التي يذبح بها هي أداة تنفيذ وليست فاعلة الذبح.

(1) سورة الأنعام، آية ٨٠، وقد وردت في المخطوط والمطبوع [هداني].

(2) سورة الأنعام، آية ٨١.

(3) أعلم أن ابراهيم عليه السلام لما رأى من خصمه المعاندة واللجاجة =

قومــــه بالحجـة العظمـى ، فالجـواب ان الملك كان يدعـى الربوبيّة فلا يقال إنه لا يخلو إما أن يكون لنا إلٰه أو لا بخلاف حال قومه فإنهم لم يدعوا ربوبية .

جدال موسى عليه السلام

قال الله سبحانه : « فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ »[1] إلى أن قال سبحانـه : « قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ

= والمغالطة أراد أن يستدرج خصمه وأن يحيطه بلجام من الإلزام والافحام فكأنه قال له : لو سلمنا لك احدى مقدمات دليلك جدلاً فإننا نريد منك البرهان على المقدمة الثانية ، وهي أن من يحيي ويميت قادر على تسخير هذا الكون فهل تستطيع أن تغير شيئاً من نظام الكون على خلاف ما هو عليه الآن ؟

وعمد إبراهيم عليه السلام إلى الشمس دون سائر الآيات الكونية الأخرى ليلزم خصمه بأحد أمرين كلاهما من صميم دعوته عليه السلام :

الأول : قطع لجاجة الخصم وافحامه واثبات عجزه ، وقد حصل هذا الأمر وفقا لما أراده إبراهيم عليه السلام ولله الحمد .

الأمر الثاني : أن ابراهيم قد خبأ للخصم في هذا الطلب الزاماً آخر يفسد على الخصم جمهور أتباعه ومناصريه فيما لو استرسل في مغالطته إذ كانوا يعتقدون في الكواكب بأنها مؤثرة ويعتبرون الشمس الإلّه الأكبر فلو قال الملك من قبيل المكابرة والمعاندة : أنا الذي أتيت بالشمس من المشرق وأنا سخرتها تجري في مدارها على هذا النظام القائم ، لقال إبراهيم عليه السلام ما دمت أنت المدبر لهذه الأفلاك والمسير لها فكيف يعتقد قومك بأنها آلهة يعبدونها من دونك . فهل يكون الإله مُدَبَّراً وَمُسَيَّراً ؟ وهـذا الأمر يستلـزم بطـلان اعتقادهـم في هذه الكواكب بأنها آلهة . وقد بسطت القول في هذا المقام في كتابي (مناهج الجدل في القرآن الكريم) ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

(١) سورة الشعراء آية : ١٦

الْعَـالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمٰـوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُـوْنَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَـوْ جِئْتُـكَ بِشْيءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِـينٌ * وَنَـزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَـاءُ لِلنَّاظِـرِينَ »[١] والإشارة إلى وجه الدلالة من ذلك ان فرعون لما قال « وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ » علم موسى أنه سؤ ال عن ماهية رب العالمين ، ورب العالمين لا ما هية له[٢] لأنه الأول فلا شيء قبله فيكون منه بل هو مكون ما تتكون الأشياء منه فلم يشتغل موسى برد سؤ اله وبيان فساده وكان المقصود تعريف الرب جل وعلا بصنعته فقال : « رَبُّ السَمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا »[٣] .

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٢٣ ـ ٣٢

(٢) كلام المؤلف هنا فيه نظر ، أما أن الله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنه تعالى غير محتاج إلى شيء من خلقه فهذا كلام مسلّم ولا يجوز لمسلم مخالفته ، أما أن يوصف الله تعالى بأنه لا ماهية له ، فهذا كلام فلسفي معقد لا يجوز الخوض فيه بغير علم ولا علم لنا في مثل هذا إلا بما أخبر الله تعالى عن نفسه أو أخبر عنه رسولهﷺ وخلاصة القول أن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقين ، وهو موصوف بصفات الكمال والجلال التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسولهﷺ .

(٣) سورة الشعراء آية ٢٤

فحصر الكائنات في ثلاث كلمات فلما قال: « أَلاَ تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ »[1] رداً على فرعون قوله: « أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى »[2] فلما قال: « إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ »[3] أردف ما ذكر بشاهدين آخرين فقال: « رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا »[4] لأن المشرق والمغرب آيتان عظيمتان لا يقدر فرعون على ادعائهما فلما اندحضت حجته قال: « لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ »[5] آيتان عظيمتان في انقلاب أعيانهما وإنما كانت الآية في العصا لأنها أنزلت على آدم بسبب الكلب لما نبح عليه[6] لما تعاظمت دعوى فرعون قوبل بها إهانة له واستحقاراً وكونها ظهرت في صورة

---

(١) سورة الشعراء آيتا ٢٥ ـ ٢٦

(٢) سورة النازعات آية ٢٤

(٣) سورة الشعراء آية ٢٧

(٤) سورة الشعراء آية ٢٨

(٥) سورة الشعراء الآيات ٢٩ ـ ٣٣

(٦) مثل هذا الكلام يحتاج إلى دليل من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله ﷺ، فمن يعرف أن السبب الحقيقي في اختيار الله للعصا معجزة =

ثعبان مناسب لحاله لأن مسها لين وفعلها قاتل .

وفرعون باظهار كرمه وعدله لَيِّنٌ وفعله قاتل لنفسه وغيره . فأما يده البيضاء فالإشارة فيها جئتك بالشرع النَّيِّر الأبيض الذي لا ظلمة فيه كما قال رسول الله ﷺ : « جئتكم بها بيضاء نقية »[1] ولَمّا كانت آيات موسى عليه السلام حسية ، ومعجزاته مرئية لم يخاطبهم بالحجة العظمى لأنها عقلية ولما هموا بقتله ألهم الله سبحانه مؤ من آل فرعون الحجة العظمى فقال : « أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُم وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يعدُكُمْ »[2] وقد شرحنا ذلك في كتاب الحجة العظمى .

وأما جدال رسول الله ﷺ لكفار قريش واليهود فسيأتي في ذكر الأدلة الدالة على صدق رسالته[3] .

= لموسى عليه السلام لأنها أنزلت على آدم بسبب الكلب لما نبح عليه ؟

(١) هذا جزء من حديث أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبزار من حديث جابر رضي الله عنه « أن عمر أتى النبيﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب وقال : لقد جئتكم بها بيضاء نقية . . . »

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ج ١٣ ص ٣٣٤ : « ورجاله موثقون . . . » .

(٢) انظر سورة غافر آية ٢٨

(٣) انظر الباب السابع من هذا الكتاب .

الباب الرابع
في
ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه

في ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه :

اعلم أنها لا تحصى لأن كل موجود عن عدم فهو دليل على وجود موجد كما قال سبحانه : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ »[1] وذلك التسبيح إذعان لموجده وعبادة لربه كما قيل :

وفي كل شيء له آية ‏ ‏ ‏ تدل على أنه الواحد[2]

فَأما أدلة[3] الكتاب العزيز فمنها قوله تعالى :

---

(١) سورة الإسراء آية ٤٤

(٢) هذا البيت مشهور وهو لأبي العتاهية. انظر ديوانه ص ١٢٢ .

(٣) يرى الفيلسوف ابن رشد أن الطريق التي دعا إليها القرآن الكريم في إثبات وجود الله تنحصر في طريقين :

الطريق الأول : طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من أجله ولنسم هذا دليل العناية .

الطريق الثاني : ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودة مثل اختراع =

« أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلىَ الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلىَ السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلىَ الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ »[1] .

وقال تعالى: « أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً * وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً »[2] وصرف سبحانه هذه الكلمات في كتابه العزيز وصرف هذه الأدلة منها الدالة على

= الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل ، ولنسم هذا دليل الاختراع .

ويصنف ابن رشد آيات القرآن الدالة على وجود الله تعالى في ثلاثة تصانيف :

١ ـ آيات تتضمن دلالة العناية فقط مثل قوله تعالى « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً . . . » إلى قوله « وجنات ألفافاً ».

٢ ـ آيات تتضمن دلالة الاختراع فقط مثل قوله تعالى « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق » وقوله تعالى « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . . » الآية .

٣ ـ آيات تجمع بين دليل العناية ودليل الاختراع وهي كثيرة جداً مثل قوله تعالى « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم » إلى قوله « . . فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون » كما بسط الكلام على هذا الموضوع في كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) ص ٦٥ ـ ٦٨.

(١) سورة الغاشية الآيات ١٧ ـ ٢١ .
(٢) سورة النبأ الآيات ٦ ـ ١٦

وجوده وقدرته وحكمته وأنه لا مشارك له ولا معاضد ولا مغالب فقال : « أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم »[1] وقال تعالى : « وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى[2] بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون »[3] وقال تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »[4] وقال تعالى : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل

---

(١) سورة النازعات آيات ٢٧ ـ ٣٣

(٢) بالتاء وهي قراءة ما عدا عاصم وابن عامر، فإنهما قرآ بالياء.

(٣) سورة الرعد آيتا ٣ ـ ٤ (٤) سورة البقرة آية ١٦٤

لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّـهُ ذلِكَ إلاَّ بِالحَـقِّ يُفصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »[1] . وقال تعالى : « تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ »[2] .

وقال تعالى : « إنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ والنَّوى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ومُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الإِصْبَاحِ وجَاعِلُ[3] اللَّيْلُ سَكَنَاً والشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانَاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ * وَهُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ [يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ][4] يَفْقَهُونَ»[5] .

وقال تعالى : « هُوَ الذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَى إذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ[6] مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ

(١) سورة يونس آية ٥ (٢) سورة آل عمران آية ٢٧

(٣) هي قراءة أبي عمرو وابن كثير وعبد الله بن عامر، ونافع، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي : (وَجَعَلَ الليلَ سكنا)

(٤) ما بين الحاصرتين سقط في المخطوط ولكنه مستدرك في الحاشية .

(٥) سورة الأنعام آيات ٩٥ ـ ٩٨

(٦) في المخطوط والمطبوع : وجاءهم [الموت] وهو خطأ.

دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَـنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ[1] » .

وقال تعالى : « وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلا إِيَّاهُ »[2] .

وقال تعالى : « وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِم أَفَلاَ يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الذي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القديم * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون * وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَتَهُمْ في الفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنْقَذُونَ * إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ »[3] .

---

(١) سورة يونس آية ٢٢

(٢) سورة الاسراء آية ٦٧

(٣) سورة يس آيات ٣٣ ـ ٤٤

وقال تعالى : « أَولَمْ يَرَوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونْ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ »(١) .

وقال تعالى : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ »(٢) .

وَقَالَ تَعالَى : « أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُم أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ »(٣) وقال : « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ »(٤) .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِين * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِين * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً »(٥) إلى قوله : « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين »(٦) .

وقال تعالى : « فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ

---

(١) سورة يس آيات ٧١ ـ ٧٣ (٢) سورة الواقعة آيات ٥٨ ـ ٥٩

(٣) سورة الواقعة آيات ٦٨ ـ ٦٩

(٤) سورة الواقعة آيات ٧١ ـ ٧٢

(٥) بقية الآيات . . . [. . . فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين] يذكر أن بعض كبار الأطباء في أوروبا قرأ هذه الآيات فاعتقد بأن محمداً ﷺ أعظم طبيب رأته الأجيال السابقة ، فلما علم أنه كان أُميًا لا يقرأ ولا يكتب آمن بأن هذا من عند الله تعالى ، (انظر المعجزة الكبرى القرآن لمحمد أبو زهرة ص ٣٩٥)

(٦) سورة المؤمنون آيات ١٢ـ ١٤

صَبًّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً » إلى قوله : « مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ »[1] .

فوجه الدلالة من هذه الآيات جلي لمن سبقت له السعادات . قال تعالى : « انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ »[2] .

وقد مدح الله تعالى قوماً أدتهم الفكر إلى معرفة العبر . قال سبحانه : « وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »[3] .

فصل

وقد حصلت معرفة الله سبحانه لقوم مخصوصين من طريق آخر مخصوص وهم الملائكة وما جرى لهم من سؤال وجواب . وفي قصة إبليس كفاية له عن التنويع فيما يقيس والتجنيس وحصل العلم اليقيني لآدم فيما حدث من أمره وتقادم فاستسلم وسالم .

والأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي[4] ،

---

(١) سورة عبس آيات ٢٤- ٣٢ (٢) سورة الأنعام آية ٦٥

(٣) سورة آل عمران آية ١٩١

(٤) ورد في مسند الامام احمد ذكر عدد الأنبياء كما في حديث أبي أمامة أن أبا در قال « قلت يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً » . رواه احمد في مسنده ج ٥ ص ٢٦٦ .

الكل عرفوا الصانع معرفة اليقين . منهم المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر[1] اغنى عيان الآيات عندهم عن الخبر، ففي نوح ودعوته ، ونجاة أهل سفينته[2] ، وفي إبراهيم ونـاره[3] ، وحياة أطياره[4] ، ويوسف وبراءته بشهادة غلامه وإجابته في قضاء حاجاته[5] ، وإهلاك عدوه من جميع جهاته ، ويونس وحوته[6] ، وزكريا وسكوته[7] ، ومريم وابنها[8] آيات بينـات . ويتبـع هذا الجمع جموع لا تحد لهم كثرة . كلهم أخبر عن وجود إله واحد قادر مريد عالم حي .

والأنبياء وأتباعهم هم حجج الخلق وعلماؤهم وأعيان العلماء ونبلاؤهم . ولو لم يكن هناك دليل على وجود الإلـه

---

(١) الحديث المتقدم يحدد العدد بثلاثمائة وخمسة عشر ، وفي بعض الروايات ثلاثمائة وبضعة عشر ، فأما ثلاثة عشر فلم أعثر على نص واضح فيه .

(٢) يشير إلى قوله تعالى [فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين] سورة العنكبوت آية ١٥

(٣) يشير إلى قوله تعالى [قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ..] سورة الأنبياء آية ٦٩

(٤) يشير إلى قوله تعالى [وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهـن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم] سورة البقرة آية :٢٦٠

(٥) يشير إلى قوله تعالى [.. وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهـو من =

سوى اتفاقهم على وجوده بالصفات المذكورة كان ذلك كافياً في حصول العلم واليقين بخبرهم إذ كانوا جميعاً لا يتصور التواطؤ منهم على الكذب والله الهادي بفضله .

= الصادقين] إلى آخر الآيات ، سورة يوسف الآية ٢٧ .

(٦) يشير إلى قوله تعالى [. . . فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون] سورة الصافات آيات ١٤٢ ـ ١٤٤ .

(٧) يشير إلى قصة زكريا عليه السلام حيث كانت امرأته عاقراً لا تنجب الأولاد فطلب من الله أن يجعل له ولداً صالحاً فاستجاب الله تعالى له بقوله [. . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . .] إلى قوله [قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألاّ تكلم الناس ثلاث ليال سوياً . . .] سورة مريم آيات ٢ ـ ١٥ .

(٨) يشير إلى قصة عيسى بن مريم عليهما السلام وأنه وُجدَ من أم بلا أب وفي هذا خرق للعادة يدل على قدرة الله وبديع صنعه والقصة ظاهرة في مواضع متعددة من القرآن منها سورة مريم آيات ١٦ ـ ٣٤ .

الباب الخامس
في
ذكر الأدلّة على أنّه واحدٌ سبحانه

ذكر الأدلة على أنه واحد سبحانه :

ومن حيث ثبت أنه موجود بصفة الوجوب ثبت أنه واحد لأن الصنعة مفتقرة إلى الصانع وليست مفتقرة إلى ما زاد على الصانع فصار وجود ما زاد على الصنعة جائزاً والجائز الوجود لا يجوز أن يكون إلهاً مبدعاً قديماً .

وأما أدلة الكتاب العزيز فكثيرة ، من ذلك قوله تبارك وتعالى : « لَوْ كَانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا »(١) وهذا الدليل معتمد أرباب الكلام من أهل الاسلام . وقد نقل عن بعض علماء السلف أنه قال : نظرت في سبعين كتاباً من كتب التوحيد فوجدت مدارها على قوله تعالى : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا » .

دليل آخر في سورة المؤمنين قوله تعالى :

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٢

« مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ »[1] وفي الكلام حذف . وتقديره : ولو كان معه آلهة ، وإنما حذف للايجاز والايجاز مستحسن في كل مكان ، وههنا أكمل حسنا لئلا يتكرر ذكر الآلهة لأنه إبطال على تقدير ، وإنما ذهب كل إله بما خلق لأجل طلب الاستعلاء بالعلو والقدرة وذلك منشأ المخالفة والمنافسة والتغالب والمغلوب لا يكون إلهاً .

دليل آخر قوله في سبحان : « قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً »[2] ومعناه أن الآلهة تطلب المنازعة والمخالفة في المراد فحينئذ يقع الفساد ، إذ يريد أحدهما حياة شخص والآخر موته ، أو إسعاده والآخر اشقاءه[3] . فإن قيل الشبهة على هذه الأدلة من وجهين :

---

(١) سورة المؤمنون آية ٩١

(٢) سورة الإسراء آية ٤٢

(٣) سلك القرآن الكريم في استدلاله على وحدانية الله تعالى مسلكين :
المسلك الأول : الاستدلال على ذلك بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم . . . ومن أبرز الأدلة على ذلك ما يسميه علماء الكلام بدليل التمانع ، ويتمثل هذا الدليل في الثلاث آيات التي أوردها المؤلف ويقال في الحصر المنطقي لهذا : لو فرض وجود إلهين وأراد أحدهما تحريك جسم وأراد الآخر =

أحدهما يجوز أن يكون اثنان تتفق إرادتهما فلا يقع خلاف فلا يقع فساد .

الشبهة الثانية : قالوا لما رأينا وجود الشيء وضده من الموت والحياة ، والنور والظلمة والخير والشر وما يقتضي الحكمة وينافيها من النقض بعد البناء ، والعجز بعد القوة جاز أن ينسب إلى مدبرين اثنين .

والجواب عن الشبهة الأولى استحالة وجود اثنين لا تنفك إرادة أحدهما عن إرادة الآخر متكافئين في العلم والقدرة والارادة والحكمة والتدبير على وجه لا تتقدم صفة أحدهما على

= تسكينه فلا يخلو الأمر إما أن يحصل مرادهما فيكون الجسم ساكناً متحركاً في آن واحد . . . وهذا جمع بين النقيضين وهو باطل ، وإما أن لا يحصل مراد واحد منهما فيخلو الجسم عن الحركة والسكون . . . وهذا ممتنع بالإضافة إلى عجز كل منهما عن تنفيذ مراده ، ومن كان كذلك فليس بإله قادر ، وإما أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر ، فالذي حصل مراده هو الإله القادر والآخر عاجز لا يصلح للألوهية ، وإما أن تتنازع الإرادتان فيستعمل كل إله سلطته وقدرته ضد الآخر فينشأ عن هذا فساد الكون وخراب العالم ، والواقع أن الكون بما فيه يجري على أحكم نظام وأدقه فتبين من هذا أن خالق هذا الكون ومن فيه إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

المسلك الثاني : التركيز على إبطال معبودات المشركين وبيان تفاهتها وانها لا تملك نفعاً ولا ضراً ، وبيان تفاهة المشركين عندما يعبدون الأوثان وأنها أضعف وأحقر من أن يقام لها وزن أو يثار حولها جدل ، والآيات الدالة على هذا كثيرة جداً .

صفة الآخر في الأعيان والأذهان فإذا هما واحد سموه اثنين .

والجواب عن الشبهة الثانية أن صدور الشيء وضده أدل على قدرة الصانع وقد نبه سبحانه على ذلك في عدة مواضع من الكتاب العزيز ، من ذلك قوله تعالى :«...تُسْقَى[1] بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ»[2] .

---

(١) تقدم في ص ٧٥ تخريج هذه القراءة.

(٢) سورة الرعد آية ٤

الباب السادس
في
ذكر أدلة البعث في الكتاب العزيز

ذكر أدلة البعث في الكتاب العزيز (١)

---

(١) الجدال في البعث والجزاء من الموضوعات المهمة التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم وتصارعت فيها الأفكار بين السلب والايجاب ، والبشرية بما هو مرتكز في فطرتها من حب البقاء تقاوم فكرة العدم المحض لأنها تحس بالحسرة الصارخة عندما تختنق فيها بواعث الأمل باستمرار هذه الحياة الدنيا فهي ترى مظاهر الموت على قدم وساق حيث تسلب الحياة من هذه الأجساد ثم لا تلبث الأجساد أن تتحول إلى رفات ثم تتحلل إلى ذرات ، فإذا كان مصير الانسانية إلى هذا الفناء الرهيب فما أبشعها من حياة محوطة بالمخاطر بين لحظة وأخرى إنها رحلة تشدها الأحاسيس والمدارك إلى حفرة رهيبة في نهاية المطاف فتصبح فيها الأجساد رمة عفنة ينهشها الدود من كل مكان .

وقد جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت وجعلت مصير كل إنسان مرتهناً بما قدمت يداه في الحياة الدنيا ، وبذلك عاد للانسانية نوع من الطمأنينة إذا هي آمنت بربها وما جاءت به رسله ، وقدمت عملاً صالحاً تسعد به في حياتها الأخرى .

وإذا كانت جميع الأديان السماوية تدعو للايمان بالحياة الأخرى والبعث بعد الموت فقد كانت الأديان السابقة تكل المؤمن إلى ايمانه الذي يفترض عليه التصديق بكل ما جاءت به رسل الله عليهم الصلاة والسلام من أنباء الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وختمت تلك الرسالات برسالة الاسلام الخالدة وهي الرسالة العالمية وليس بعدها رسالة تبين للناس ما يختلفون فيه وما يستجد =

=من حياتهم العقلية والحضارية ، فلا بد أن تكون وافية بمطالب الروح والجسد في تعاليمها وهداياتهـا ولا بد أن تكون براهينهـا قائمـة على ما جاءت به من مبادىء وقيم لأن الجدل مرتكز في بني الإنسان جبلة وطبعاً [وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً] ولما كان الاقناع بحياة أخرى بعد الموت من الأمور التي تشغل الفكر الانساني فقد جاء القرآن الكريم وافياً بالأدلة والبراهين القاطعـة على البعـث والجزاء وعرض ذلك في نماذج حية وضمنها شبه المنكرين للبعث ولم يتركها تمر دون مناقشة لها بالمنطق الصحيح وإبطال الشبه والملابسات بالبراهين العقلية التي تزيل فكرة الفناء الأبدي وتعيد للانسانية طمأنينتها وتدفعها للعمل وتحيي فيها آمال التسابق في الدرجات العلا في حياة أفضل .

ولقد نهج القرآن الكريم في استدلاله على امكان البعث وتحقق وقوعه منهجاً قوياً يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة . وكان منهج القرآن في استدلاله على البعث كما يلي :

أولاً : الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهـم ، كما أخبـر الله تعالى عن ذلك ومنهم .

١) قوم موسى قال تعالى [وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون] البقرة : ٥٥ ـ ٥٦ .

٢) المضروب بعضو من أعضاء البقرة كما قال تعالى [وإذ قتلتم نفساً فادَّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون] البقرة : آية ٧٢ ـ ٧٣ .

٣) الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى [ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم] البقرة آية ٢٤٣ .

٤) الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال [أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم =

= أن الله على كل شيء قدير] البقرة آية : ٢٥٩ .

٥) سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى قال تعالى [وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهنَّ يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم] البقرة آية ٢٦٠ .

٦) ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام من أنه كان يحيي الموتى باذن الله كما قال تعالى [ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبـرص وأحيي الموتى بإذن الله] آل عمران آية ٤٩ .

٧) ما أخبر الله به من قصة أصحاب الكهف . وهذه الأدلة المتقدمة أدلـة مادية حسية وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم وهذا برهان قطعي على القدرة الآلهية وقد أخبر الله ورسله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك لأنه أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته .

ثانياً ـ الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى .

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى [وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم] يس آية ٧٨ ـ ٧٩ .

ثالثاً ـ الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان مثل السموات والأرض فإن خلقها أعظم من خلق الانسان . ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى [أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم] يس آية ٨١

رابعاً ـ الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة ومن الآيات قوله تعالى [وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون] الأعراف الآية ٥٧

خامساً ـ الاستدلال على إمكان البعث بحصول أحد المتضادين فإن الإحياء بعد الموت لا يستنكر من حيث أنه يحصل الضد بعد حصول الضد إلا أن ذلك =

= غير مستنكر في قدرة الله تعالى لأنه لما جاز حصول الموت عقب الحياة فكيف يستبعد حصول الحياة مرة أخرى بعد الموت ؟ فإن حكم الضدين واحد قال تعالى مقرراً هذا المعنى [نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين] الواقعة الآية ٦٠ .

سادساً ـ الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر . قال تعالى [الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون] يس الآية ٨٠ .

وفي هذه الآية استدلال بتولد النار مع حرها ويبسها من الشجر الأخضر مع برده ورطوبته .

سابعاًـ الاستدلال على إمكان البعث بأن اختلاف الناس في الدنيا لا يرتفع ـ واختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه ـ فوجب أن يكون هنا معاد ينحسم فيه النزاع ولا يكون ذلك إلا بين يدي الحيّ القيوم ، قال تعالى [وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين] النحل آية ٣٨ ـ ٣٩

فكل خصومة لا بد لها من منتهى في موقف ينقطع فيه الجدال في الباطل ويذهب فيه عنفوان المكابرة والعناد ، وهذا الشعور الوجداني هو الذي يشعر به كل مظلوم وينتظر ساعة الفصل العادلة إذا لم يحصل على إنصافه في الدنيا ، وعند الله تجتمع الخصوم .

ثامناً ـ الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء فإن الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً ولن يتركهم سدى قال تعالى [أيحسب الإنسان أن يترك سدى] القيامة الآية ٣٦ وقال تعالى [أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون] المؤمنون الآية ١١٥ .

تاسعاً ـ الاستدلال على البعث بحصول اليقظة بعد النوم فإن النوم أخو الموت واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت ، قال تَعالى [وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم =

منها[1] كثير، من ذلك قوله تعالى:

« وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً »[2].

ومثله: « أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ »[3] المراد ههنا أبيّ بن خلف، وقيل العاصي[4] بن وائل.

ثم ذكر سبحانه وتعالى شبهته[5] فقال: « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ »[6]. فجاء الجواب من وجهين:

أحدهما جدلاً يتضمن فساد شبهته من جهة أنه استبعد الإعادة والحياة في عظام وحش وترك نفسه وذلك أهم من احياء

=بما كنتم تعملون] ثم ذكر عقبه أمر الموت والبعث فقال تعالى [وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين]الأنعام الآية ٦٠ ـ ٦٢.

(١) في المطبوع: وهي كثيرة.

(٢) سورة مريم آية ٦٦، ٦٧

(٣) سورة يس آية: ٧٧

(٤) في المطبوع: (العاص) وكلاهما صحيح، انظر الاعلام ٤/ ١١

(٥) في المطبوع: شبهة

(٦) سورة يس آية ٧٨.

الحيوان البهيم لأن ايجاد الحيوان البهيم كان لأجل الانسان .

الوجه الثاني : « قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ »[1] إلى آخر السورة فإن ايجاد المبادئ أصعب في مطرد العرف وحكم العقل من رد شيء كان إلى ما كان ، على ما لا يخفى . وقوله سبحانه : « الذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً »[2] معناه : ايجاد شيء مما ينافيه وينافره فلا بد من قوة من خارج تغلب على المتنافرين المتنافيين بفعل ذلك ثم قال سبحانه : « أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ »[3] معناه من قدر على خلق

---

(١) سورة يس آية ٧٩

(٢) سورة يس آية ٨٠

وفي هذه الآية الأخرى وهي قوله تعالى : [أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون] الواقعة آية ٧١ ، استدلال بتولد النار مع حرها ويبسها من الشجر الأخضر مع برده ورطوبته . قال الفخر الرازي في قوله تعالى : [الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً] الآية ووجهه هو أن الانسان مشتمل على جسم يحس به حياة سارية فيه وهي كحرارة جارية فيه ، فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب ، وأنتم تحضرون حيث منه توقدون وان استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات والأرض اكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فإن الله خلق السموات والأرض (تفسير الرازي ج ٢٦ ص ١١٠) . وفي هذا عبرة عظيمة فإن الله تعالى جمع في الشجر الأخضر بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب .

(٣) سورة يس آية ٨١

السموات والأرض قدر على خلق هذا النوع اللطيف والشكل الضعيف وإذا قدر على إيجاده قدر على رده بعد نفاذه .

ثم أخبر سبحانه عن نفسه بماذا يخلق الأشياء ويكون[1] ، فقال : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »[2] .

وفي موضع آخر : « إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »[3] وعند ذلك سبح نفسه فقال : « فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون »[4] فعم الموجود والمعدوم والإبداء والإعادة وجعل الرجوع خاتمة الكلام لأن الإنكار له والأدلة أقيمت عليه .

ومن أدلة البعث في سبحان[5] :

« فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ »[6] .

ومن أدلة البعث قوله : « وَهُوَ الذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ

(١) في المطبوع : بماذا تخلق الأشياء وتكون .
(٢) سورة يس آية ٨٢
(٣) سورة النحل آية ٤٠
(٤) سورة يس آية ٨٣
(٥) أي في سورة سبحان وهي سورة الاسراء
(٦) سورة الإسراء آية ٥١

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »[1] وإنما قال سبحانه : « وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ » ضربُ مثل ، لأن المقدورات عندنا نحن متفاوتة في العسر واليسر باختلاف القدرة التي تزيد وتنقص في حقنا ، ولما كان ايجاد شيء لا من شيء[2] مستحيلاً[3] منا ، وايجاد شيء من شيء ممكنا ، فاستعار له كلمة أفعل ، ضرب ذلك مثلاً . ولما استحال في حقه العجز والضعف عن ايجاد شيء لا من شيء قال : « وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى »[4] وذلك مطرد في سائر صفاته سبحانه من العلم و القدرة والحياة والرحمة والرضى والغضب وكل صفة وصف بها الانسان من ذلك مثاله قولنا عالم ، والواحد منا عالم ولكن يطلق على المخلوق باعتبار معلوم ما ، وإن علمه من جهةٍ[5] جهله من جهات ، ثم علمه إما بطريق الخبر أو النظر[6] أو الاضطرار ، والله سبحانه عالم بما كان ويكون على وجه لا يخفى عليه شيء ولا يداخله الشك ولا الذهول ولا النسيان ولا يتقدم بزمان[7] ولا مكان ولا نظير

---

(١) سورة الروم آية ٢٧ (٢) يعني : من لا شيء ، أي من العدم

(٣) في الأصل : مستحيل ، وكذلك لفظ (ممكن) والصحيح النصب فيهما ، لأنه خبر كان .

(٤) الروم آية ٢٧

(٥) في المطبوع : جهة وهو الأصح .

(٦) في المطبوع : والنظر . (٧) في المطبوع : أين ما

ولا حيز ولا اضطرار . قال تعالى : « أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ »(١)

فهذا معنى قوله : « وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى »(٢) .

ومن أدلة البعث قوله تعالى : « قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِيءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »(٣) .

ومن أدلة البعث قوله تعالى :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الذي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »(٤) .

ومن أدلة البعث في سورة الواقعة قوله تعالى : « أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ »(٥) « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ »(٦) « أَفَرأَيتُمُ الْمَاءَ الَّذِيْ تَشْرَبُونَ »(٧) « أَفَرَأَيتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ »(٨) .

---

(١) سورة الملك آية ١٤

(٢) سورة الروم آية ٢٧

(٣) سورة العنكبوت آية ٢٠

(٤) سورة فصلت آية ٣٩

(٥) سورة الواقعة آية ٥٨

(٦) سورة الواقعة آية ٦٣

(٧) سورة الواقعة آية ٦٨

(٨) سورة الواقعة آية ٧١

ووجه دلالة النار على البعث أن النار تكمن في الشجر والحجر ثم تظهر بالقدح ، وتشب بالنفخ ، فالحجر والشجر كالقبر والقدح والنفخ كالنفخة في الصور وإنما ذكر الله سبحانه في هذه السورة هذه الأدلة الأربعة متوالية لأنه بدأ السورة بالواقعة وهي القيامة وقال : « لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ »(١) .

إِنَّ الجاحدين كما قال كانوا يقولون : « أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ »(٢) فكان الجواب : « قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ * لمجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ »(٣) .

ومن أدلة البعث في سورة الأحقاف : « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »(٤) .

ومن أدلة البعث : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً »(٥) .

---

(١) سورة الواقعة آيتا ٢ ، ٣ (٢) سورة الواقعة آيتا ٤٧ ، ٤٨

(٣) سورة الواقعة آيتا ٤٩ ، ٥٠

(٤) سورة الاحقاف آية ٣٣

(٥) سورة الحج آية ٦٣

قال المصنف : والأدلة على البعث جوازاً ووجوباً :

أما الجواز : فالنظائر الحسية .

وأما الوجوب : فما وعد الله تعالى به من البعث والإعادة ، وإكرام الطائعين بجنته ، وإهانة المجرمين بعقوبته ، وما اقتنع للخلق بتكرير وعده الصادق حتى حلف على ذلك في عدة مواضع من ذلك : « زَعَمَ الذينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ »[1] .

ومن ذلك : « فَوَرَبِّ السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ »[2] .

ومن ذلك : « وَيَسْتَنْبِؤُنَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ »[3] .

فصل :

ولم يكن لمنكر شبهة إلا مجرد تعجب واستبعاد . قال الله تعالى : « وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ »[4] معناه إن كان لك عجب من شيء فمن إنكارهم

---

(١) سورة التغابن آية ٧

(٢) سورة الذاريات آية ٢٣

(٣) سورة يونس آية ٥٣

(٤) سورة الرعد آية ٥

البعث فاعجب لأن العجب ما ندر وجوده وخفي سببه ، وليس هذا مما ندر وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها واكتساء الأشجار بعد عريها ، وعود النهار بعد زواله والليل بعد ذهابه وإخراج الحي من الميت ، والميت من الحي ولا مما خفي سببه ، فإن الله سبحانه هو الفاعل لذلك والمخترع له والقادر عليه وحكمته إظهار ما استتر عن خلقه من تدبيره وما النشأة الثانية بأعجب من الأولى .

وقد قال بعض الحكماء : ثبت أن الله عز وجل حكيم ، والحكيم لا ينقض ما بنى إلا لحكمة أتم من حكمة النقض ، ولا يجوز أن تكون أنقص ولا مماثلة على ما لا يخفى[1] .

---

(١) اعلم أن مسألة البعث مسألة بالغة الصعوبة لدى كل متشكك فيما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، لأنه لا بد أن ينظم إلى أدلة البعث الايمان بما أخبرت به الرسل فإن مجرد الاستدلال العقلي وإن دل على ذلك أو قال بإمكانه فهو لا يكفي لاقتحام تلك المنطقة الغيبية ومعرفة ما تنطوي عليه من حقائق الحشر والنشر والوقوف والحساب والجنة والنار فلا بد من الرجوع إلى ما جاءت به الرسل وبذلك تقوم الأدلة العقلية والنقلية على امكان البعث وتحقق وقوعه .

والقرآن الكريم وهو كتاب الله الذي [لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه] يرد على جميع المنكرين للبعث مهما اختلفت بيئاتهم أو تنوعت أساليبهم بمنطق الحجة والبرهان ، ويقيم البراهين الحسية والعقلية على المعاد .

الباب السابع
في
ذكر أدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
من الكتاب العزيز

ذكر أدلة نبوة محمد ﷺ من الكتاب العزيز :

والكتاب العزيز كله دليل على صدق رسالته بل كل سورة منه دليل عليه لمكان العجز عن الاتيان بمثلها . وقد ورد التحدي بذلك في الكتاب العزيز في خمسة مواضع :

من ذلك قوله تعالى : « وَإِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[1] .

الموضع الثاني قوله عز وجل : « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ عَلَى أَنْ يأتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً »[2] .

الثالث : « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣

(٢) سورة الاسراء آية ٨٨

مُفْتَرَيَاتٍ وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[1] .

الموضع الرابع : « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[2] .

الموضع الخامس : « أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ »[3] .

فصل

قد توجه القرآن العظيم على مائة دليل وأربعة عشر دليلاً عدد سوره . فالتحدي بالطوال منه كالتحدي بالقصار فعلى هذا السور القصار إذا أخذت عدلها كلمات على ترتيبها كانت معجزة ويقع بهذا التحدي أو سورة من القصار و عدلها من أي القرآن من أي سورة كان كانت معجزة ، فإذن تبلغ أدلة التعجيز منه مبلغاً يزيد على الألف دليل وهذا من أسرار الكتاب العزيز وعجائب التنزيل .

دليل آخر قوله : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا »[4] أخبر أن

---

(١) سورة هود آية ١٣

(٢) سورة يونس آية ٣٨

(٣) سورة الطور آيتا ٣٣ ، ٣٤

(٤) سورة البقرة آية ٢٤

المنكرين نبوته لم يقدروا على معارضته وكذلك جرى .

دليل آخر قوله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »[١] وهذا خبر لم يسمع إلا من الرسول ، وكان الأمر كما أخبر .

دليل آخر أخبر أنه « لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ »[٢] فكان الأمر كما أخبر بحمد الله وَمَنِّهِ .

دليل آخر : « آلم * غُلِبَت الرُّومُ * في أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ »[٣] وقصة مبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأبيّ بن خلف مشهورة[٤] .

دليل آخر : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ[٥] (فَعَلِمَ) مَا لَمْ تَعْلَمُوا »[٦] فكان كذلك .

دليل آخر : المباهلة[٧] قوله تعالى : « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ

---

(١) سورة الحجر آية ٩

(٢) سورة فصلت آية ٤٢

(٣) سورة الروم آيات ١ ، ٤

(٤) انظرها في كتب التفسير ، مثل ابن كثير ج ٣ ص ٤٢٣ - ٤٢٤

(٥) سورة الفتح آية ٢٧

(٦) كلمة [فعلم] مشطوبة في الأصل ، وقد اثبتت في المطبوع مع زيادة [ما لم تعلموا] .

(٧) أثار بعض المستشرقين شبهات سوفسطائية حول القرآن بأنه يحيد عن الجدل العقلي والنقاش الفكري كلجوئه إلى المباهلة في هذه الآية التالية [فمن

بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ[1] » الآية . وهذا دليل يدل بشياعه[2] وبخصوصه على نصارى نجران .

دليل آخر : يخص اليهود وهو قوله تعالى « قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ »[3] .

حاجك فيه . . .] والحقيقة أن القرآن قد جادلهم وناظرهم قبل المباهلة فلما أصبحوا في حالة من العناد والمكابرة لا يجدي معهم فيها نقاش أو جدال لجأ إلى أسلوب آخر هو اسلوب التخويف من غضب الله وانتقامه من الضالين المكذبين ، ونأخذ من الآية نفسها دليلاً على تقدم الجدال والمحاجة معهم وهو قوله تعالى [من بعد ما جاءك من العلم] وقد ناظرهم القرآن قبل ذلك بقوله [إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون] آل عمران : ٥٩ . وقد أقام الحجة على بطلان دعواهم بأمر يشتمل على شبهتهم وزيادة فإن آدم وجد من غير أم ولا أب ولم يقولوا بألوهيته ، وشبهتهم في عيسى أنه وجد من أم بلا أب ، وقد نقضها القرآن الكريم بقوله [ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام] المائدة : ٧٥ فهل من يأكل الطعام ويتركب جسمه ثم يتحلل يكون إلهاً ؟ وهكذا يظهر لنا أن المباهلة كانت في آخر أيام الدعوة فإن سورة آل عمران مدنية .

(١) آل عمران : ٦١ وتكملة الآية [ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين] .

(٢) في المطبوع : بسياقه ، وأظن المؤلف يقصد (بشيوعه) .

(٣) سورة البقرة آية ٩٤

وهذا دليل واضح وحجة قاطعة على اليهود فلو لم يعلموا أنهم إن تمنوه ماتوا وإلا كانوا تمنوه فيحاجوا به رسول الله ﷺ ويبطلوا نبوته .

وكان ذلك أهم الأشياء عندهم .

دليل آخر : « قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ »[1] فلو لم يعلموا أنه رسول الله وأن خبره حق وصدق لبادروا إلى ما يبطل دعواه ويكذب خبره .

دليل آخر خاص باليهود والنصارى والعرب قوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ »[2] وقد علموا أنه لا يعرف الكتابة ولا النظر في الكتب ولم يكن من شأنه .

دليل آخر قوله تعالى : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ[3] مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ

---

(١) سورة الجمعة آيتا ٦ ، ٧

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧

(٣) في الأصل: زيادة (آمنوا)، وهو خطأ.

ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ » [1] إلى آخر الآية. فالدلالة من ذلك من وجهين:

أحدهما أن هذه الصفات لا تكون إلا في الصادقين إذ كانت أعدل الصفات وأكمل السمات.

الثاني ذكرهم في التوراة والإنجيل كما سبق.

دليل آخر مختص باليهود قوله تعالى: « وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» [2] فلولا (أنه) [3] يعلم أنهم يعلمون ذلك لما استجاز أن يخبرهم بأمر يدعي معرفتهم به وهم لا يعرفونه.

دليل آخر قوله تعالى: « وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ* وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » [4].

قال ابن عبد البر: كان بين الأوس والخزرج من العداوة ما لم يكن بين أحد من بني آدم فألف الله قلوبهم لأجل

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩
(٢) سورة الأنعام آية ١١٤
(٣) سقطت (أنه) في المطبوع رغم وجودها في حاشية المخطوط.
(٤) سورة الأنفال آيتا ٦٢، ٦٣.

نصرة نبيه محمد ﷺ فصاروا يدا واحدة وقلباً واحداً .

دليل آخر قوله تعالى : « هُوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ »(١) .

وهذا خبر عن الغيب وكان كما أخبر .

دليل آخر قوله تعالى :

«وَعَدَ اللَّهُ الذِينَ آمَنُوا منكم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأَرْضِ كَما آسْتَخْلَفَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَاً يَعْبُدُونَني لاَ يُشْرِكُونَ بي شَيْئاً» (٢) ومعلوم أن هذه سيرة أصحاب النبي ﷺ في خوفهم أولاً ، وأمنهم ثانياً ، وتمكينهم واستخلافهم في الأرض ، وهذا ظاهر الدلالة .

دليل آخر قوله تعالى : « وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الذِي لَهُ مَا في السَّمٰواتِ وَمَا في الأَرْضِ »(٣) .

فنظرنا فيما دعا إليه فكانت مكارم الأخلاق ومحاسن

---

(١) سورة الصف آية ٩ .
(٢) سورة النور آية ٥٥
(٣) سورة الشورى آية ٥٢ ، ٥٣ .

الشيم ، صراط العقلاء ومختار النبلاء ، وهي الأخلاق المأمور بها في سبحان : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلاّ[1] تَعْبُدُوا إِلاّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً * وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً * وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً * وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً * وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً * وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا

---

(١) في المطبوع والمخطوط : أن لا .

بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً * وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً »[١] .

وكذلك قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »[٢] . ومثل هذه السير العادلة والمكارم المستحسنة لا تجري على لسان ممخرق[٣] .

دليل آخر على اليهود قوله تعالى :

« كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات : ٢٣ - ٣٩

(٢) سورة النحل آية ٩٠

(٣) كذا في المخطوط ، وفي المطبوع : نجران وهو خطأ ، ولعل المؤلف يقصد بالممخرق الكذاب والمخرقة في اللغة الكذب والاختلاق .

كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »[1] .

روي[2] أن إسرائيل أخذه وجع العرق الذي يقال له النَّسا فنذر لئن شفاه الله تعالى منه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب ذلك إليه لحوم الإبل وألبانها ، فشفي فوفى بنذره . وادعت اليهود أن ذلك كان حراماً على نوح حتى انتهى الأمر إليهم فبين الله تعالى بطلان دعواهم وأمر أن يحاجهم بالتوراة فلم يجسروا على إخراجها . وفي ذلك الدلالة الظاهرة على صدق محمد ﷺ .

دليل آخر في قوله تعالى :

« فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ[3] »وهي السنين[4] التي دعا النبي ﷺ بها على أهل مكة . والدّخان : الجدب ، سمي دخاناً لأن الغبار يزيد في الجدب فيكون كالدخان[5] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٩٣ ، ٩٤

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٢

(٣) سورة الدخان آية ١٠

(٤) كذا في المخطوط،وفي المطبوع:السنون ولكلٍ وجه، انظر النهاية لابن الأثير: سنه.

(٥) وهناك قولان آخران ، أحدهما أنه دخان يجيء قبل قيام الساعة فيأخذ بأنفاس الكفار ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، وهذا مروي عن ابن عباس =

دليل آخر قوله تعالى :

« قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ »(١) وأصحاب البأس الشديد مسيلمة وأصحابه يوم اليمامة(٢) . وقيل فارس والروم وأيما كان فقد أخبر عن الغيب فيه فكان الأمر كذلك .

دليل آخر قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلى الذِين نَافقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُون مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ »(٣) .

وفي هذا دليل ظاهر على صدق الرسول ﷺ لأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله فإنهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم .

= وعلي وابن عمر وأبي هريرة والحسن ، والثاني أنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء بالغبرة ، حكاه الماوردي انظر زاد المسير لابن الجوزي ج ٧ ص ٣٣٩ - ٣٤١ والراجح ما ذكره المؤلف هنا لأنه مؤيد بأحاديث صحيحة .

(١) سورة الحشر آية : ١١ ، ١٢ .

(٢) سورة الفتح آية ١٦

(٣) انظر تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٧٢ .

دليل آخر قوله تعالى : « هُوَ الذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ »[١]. قيل هم من بعد الصحابة، وقيل هم الأعاجم[٢]، وعلى كلا الأمرين فقد وقع الخبر موافقاً للمخبر به .

دليل آخر قوله تعالى : « وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ »[٣] وقال[٤] : « لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ »[٥] . وكان يحرس فقال : اذهبوا فإن الله تعالى[٦] قد عصمني فأخبر بعصمته فما قدر أحد على قتله مع كثرة أعدائه والقاصدين له بذلك كما عرف .

دليل آخر قوله تعالى : « أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا »[٧] « أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً »[٨] .

---

(١) سورة الجمعة آية : ٢ ، ٣

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٣ وغيره من كتب التفسير .

(٣) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٤) في المطبوع : وقوله .

(٥) سورة الرعد آية ١١ .

(٦) في المطبوع : قال وهو غلط ظاهر .

(٧) سورة محمد آية ٢٤ .

(٨) سورة النساء آية ٨٢ .

ولا خلف في خبره ﷺ وقد أخبر كما تقدم من القصص ، واليهود يعرفون صحة ما أخبر من كتابهم هذا ، ولم يكن صاحب كتابة ولا مشتغلاً بالكتب [1].

وأخبر عن أمور منها ما كان ، ومنها ما سيكون . ومن أنعم النظر في الكتاب العزيز استنبط من أدلة صدق محمد ﷺ اكثر مما ذكرناه .

فأما أدلة رسالته من غير الكتاب العزيز فهي أكثر من أن تحصى . وقد أُلف[2] دلائل النبوة جماعة من العلماء ، منهم : أبو نعيم الحافظ الاصبهاني[3] ،ومنهم أبو بكر بن فورك[4] ومنهم

---

(١) قال تعالى [وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لا رتاب المبطلون . .] سورة العنكبوت آية ٤٨ .

(٢) في المطبوع : ألّف في دلائل وهو الأصح .

(٣) هو : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، الشافعي ، محدث ومؤرخ ، توفي سنة ٤٣٠ هـ . ومن مؤلفاته : حلية الأولياء ، ودلائل النبوة ، ومعرفة الصحابة والمستخرج على الصحيحين انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٤) هو : محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني الشافعي المتوفى سنة ٤٠٦ هـ . فقيه مفسر أصولي أديب نحوي لغوي واعظ عارف بالرجال . . الخ

(انظر شذرات الذهب ج ٣ ص ١٨١ - ١٨٢ . ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٩ ص ٢٠٨) .

الحافظ أبو بكر البيهقي[1] .

فصل :

ومن فهم مذهب الفصاحة والبلاغة وأرشده الله تعالى ووفقه أمكنه أن يختار من الأخبار النبوية الصحاح ألف حديث فما زاد تبلغ مرتبة التعجيز عن الاتيان بمثلها فيكون ألف دليل على النبوة مستمرة التعجيز مشهوداً لها بالتمييز . وإذا تقررت هذه الأدلة التي ذكرناها فكل دليل دل على رسالة محمد ﷺ وعلى رسالة من سبقه من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فهو دليل على وجود الصانع سبحانه .

---

(١) هو : أحمد بن الحسين بن علي الخسرو جردي الشافعي الحافظ صاحب التصانيف ومنها السنن الكبرى والصغرى والمعارف والأسماء والصفات ودلائل النبوة . . الخ توفي سنة ٤٥٨ هـ انظر شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

الباب الثامن
في
ذكر الأسئلة والأجوبة الجدلية
من الكتاب العزيز

في ذكر الأسئلة والأجوبة الجدلية من الكتاب العزيز :

سؤال المنع :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُم لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون »[1] معناه : لا نسلم انا مفسدون لأن الاصلاح ضد الإفساد فإذا ادعوا الاصلاح فقد انكروا الافساد ثم منعوا هذه الدعوى بقوله تعالى : « أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ »[2] .

وفي هذا دليل على جواز المنع من طريق المعنى وفيه الرد على من يقول هذا بغير توجيه لإهمال مراعاة صيغة لفظ المجادل ، وهذا يطرد في كل موضع هذا سبيله ، ومثله قول الله تعالى عن الكفار حيث قالوا لرسل عيسى بن مريم : « إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ »[3] قالوا لهم : « طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ »[4] أي شؤمكم

(١) سورة البقرة آية ١١ .
(٢) سورة البقرة آية ١٢ .
(٣) سورة يس آية ١٨
(٤) سورة يس آية ١٩ .

معكم[1] لامنا . ودليله أنكم جعلتم التذكير بالله وبعبادته علة الشؤم ، أي : « أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ »[2] .

سؤال النقض :

في قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ[3] نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[4] معناه العلة التي توجب عندكم الإيمان بالرسل قد وجدت « فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ » فَدل على أن التعليل بما ذكرتم غير صحيح . وهذا النقض وارد على معنى كلامهم فدل على جواز ايراد ما يهدم كلام الخصم على أي وجه كان .

ومن صور النقض قوله تعالى :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا »[5] النقض في قوله : « أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ »[6] .

---

(١) في المطبوع : منكم .
(٢) سورة يس آية ١٩
(٣) في المخطوط والمطبوع : أن لا .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٨٣ .
(٥) سورة البقرة آية ١٧٠ .
(٦) سورة البقرة آية ١٧٠ .

ومن صور النقض أيضاً في قوله تعالى :

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ »[1] النقض بإبراهيم عليه السلام لأنه استغفر لأبيه وهو مشرك في قوله تعالى : « سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً »[2] فكان الجواب : « وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ »[3] .

ومن صور النقض في قوله تعالى :

« فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سَاحِرَانِ[4] تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ »[5] .

سؤ ال القول بالموجب :

في قوله تعالى : « قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ

---

(١) سورة التوبة آية ١١٣ .

(٢) سورة مريم آية ٤٧ .

(٣) سورة التوبة آية ١١٤ .

(٤) يعني الكافرون موسى ومحمداً وهي قراءة الجمهور، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي [سِحْرَانِ] ويعنون التوراة والقرآن وقيل الانجيل والقرآن.

(٥) سورة القصص آية ٤٨ .

تَصُدُّونَا عَمَّا كَان يَعْبُدُ آبَاؤُ نَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ »[١] .

القول بالموجب : « قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ »[٢] تقديره : يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ »[٣] .

« وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللَّهِ »[٤] .

ومن[٥] القول بالموجب في قوله تعالى : « الذينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ» القول بالموجب «قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ »[٦] .

سؤال المعارضة

في قوله تعالى «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ[٧]» : «فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ»[٨] «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ»[٩] وذلك أنه

(١) سورة إبراهيم آية ١٠ .
(٢) سورة إبراهيم آية ١١ .
(٣) سورة سبأ آية ٤٣ .
(٤) سورة إبراهيم اية ١١ .
(٥) سقطت في المطبوع .
(٦) سورة التوبة آية ٦١ .
(٧) سورة يونس : ٣٨ .
(٨) سورة هود آية ١٣ .
(٩) سورة الطور آية ٣٤ .

جعله دليلاً على نبوته ، والدليل متى عورض بمثله بطل عمله فيسقط الاحتجاج به .

فصل

الحكم تارة يعلل بعلة واحدة منفردة كقوله تعالى : « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ »(1) وتارة بعلتين ، كقوله تعالى : « وَإِنْ أَرَدْتُمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وآتَيْتُم إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وإِثْماً مُبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً »(2) فإن قيل بل هي علة واحدة مركبة من وصفين فالجواب ان الافضاء علة في استحقاق المهر في الصحيح من النكاح والفاسد لقول النبي ﷺ : « فلها المهر بما استحل من فرجها » والميثاق الغليظ هو عقدة النكاح وهي كلمة الله عز وجل (وهو قوله بما استحللتم من كلمة الله)(3) فهو يثبت بمجرده دون الافضاء جميع المهر بالموت ونصفه بالطلاق .

---

(1) سورة البقرة آية ١٧٩ . (2) سورة النساء آية ٢٠ ، ٢١ .

(3) ما بين القوسين كلام غير مستقيم ، والظاهر أنه من الناسخ، وكأنه يريد بذلك قول النبي ﷺ [... واستحللتم فروجهن بكلمة الله] انظر : صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٨٩ .

فصل

وقد يعلل الحكم بعلل كل علة تستقل بالحكم كقوله تعالى: «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ»(١).

فصل

تعليق الحكم على علة يقتضي النقيض كقوله تعالى: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»(٢) وكقوله تعالى: «أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ»(٣) وكقوله تعالى: «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»(٤) ومثله: «فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»(٥).

فصل

أَجْوبة الأسئلة على التفصيل كقوله تعالى: «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ»(٦) «وَأَمَّا الْغُلَامُ»(٧) «وَأَمَّا الْجِدَارُ»(٨).

---

(١) سورة التوبة آية: ٥٤.
(٢) سورة العنكبوت آية: ٢٩.
(٣) سورة الأعراف آية: ٨٢
(٤) سورة الأنفال آية: ٣٢.
(٥) سورة الشعراء آية: ١٨٧.
(٦) سورة الكهف آية: ٧٩
(٧) سورة الكهف آية: ٨٠
(٨) سورة الكهف آية: ٨٢.

فصل

وقد تذكر صورة القياس وليس بقياس دلالة كقوله تعالى : « فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ »[1] .

فالحكم المقيس عليه أمر وجودي وهو النطق والذي وعدهم به هو الحياة بعد الموت والبعث بعد الدفن ، وهو أمر معدوم وليس بينه وبين النطق مناسبة ، ومجرد وجود حقيقة شيء لا يدل على وجود حقيقة أخرى فعند ذلك يعلم انه ما أراد إلا تحقيق الوعد بايجاد على وجه لا يشك فيه كوجود النطق ، كقول النبيﷺ : « إنكم لترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤ يته »[2] ومعلوم أنه ما أراد أن رؤ ية القمر مقتضية لرؤ ية الله تعالى ، بل أراد أنه كائن كوجود هذا القمر ورؤ يته .

ولو قيل فإن فيه شبهية اقتضت القياس على النطق صح من جهة أن الكلام يغور ويعود فهو كالميت له غيبة بالدفن والبلى ثم حضور بالبعث فعلى هذا قياس الشبه صحيح .

فصل :

ومثال قياس الشبه قوله تعالى : « يَابَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ

---

(١) سورة الذاريات آية : ٢٣ .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٧ .

الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ »[1] وفيه دلالة على جواز إقامة اللازم للحكم أو السبب مقام نفس الحكم لأن فتنته سبب الخروج من الجنة ، وهي سبب المنع من دخولها ، وذلك كله توسعة على المستدل .

(فصل) في الترجيح.

وهو دليل معتبر في الشرع قد تكرر وجوده في الكتاب العزيز في مواضع، من ذلك قوله عز وجل: «وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ»[2] ومعناه التحريض على القتال، والتسلية لما أصاب من مكروه بالتساوي في الألم والمزية لكم عليهم بما ترجون من ثواب الله تعالى فأنتم أولى بطلبهم وأحرى بالصبر على المكروه من جهتهم ، ومن الترجيح قوله تعالى : « أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ »[3] .

ومن الترجيح أيضا قوله تعالى : « قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا[4] يُشْرِكُونَ »[5] في خمس مرات أمَّن أمَّن[6] .

---

(1) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(2) سورة النساء آية ١٠٤

(3) سورة يونس آية ٣٥ .

(4) في المخطوط : أم ما .

(5) سورة النمل آية : ٥٩ .

(6) مكررة في المخطوط دون المطبوع .

ومن الترجيح قوله تعالى: « أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ[1] عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ »[2] .

ومن الترجيح قوله تعالى : « يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ »[3] وذلك لما تقرر أن الاثنين لا بد من وجود الفساد منهما لوقوع الاختلاف بينهما .

ومن الترجيح المذكور في الحجة العظمى : « فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ »[4] .

فصل في المفهوم

وهو ينقسم قسمين : مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة .

فالموافقة متفق عليه لقوله تعالى : « فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ »[5] فمفهومه تحريم الضرب والسب لأن التأفيف دون ذلك ، وكذلك قوله تعالى : « وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدينارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إليكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً »[6] . ولا يخفى أن من يؤدي القنطار يؤدي ما

---

(١) بضم الألف وكسر السين في الحرفين، وبنيانه برفع النون وهي قراءة نافع وابن عامر، وقرأ الباقون (أَسَّسَ) بفتح الألف ونصب بنيانه.

(٢) سورة التوبة آية : ١٠٩ .

(٣) سورة يوسف آية : ٣٨ .

(٤) سورة الأنعام آية ٨١ .

(٥) سورة الإسراء آية : ٢٣

(٦) سورة آل عمران آية : ٧٥ .

دونه ، ومن يخون في دينار يخـون فيما فوقـه ، ويسمـى ذلك فحوى الخطاب .

ومفهوم المخالفة كقوله تعالى :

« مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً » فمفهومه إن لم يكن عليه قائماً لم يؤ ده إليك . ومن الناس من يقول : ليس هو بحجة لقولـه تعالى : « فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »(١) ومعلوم ان من افترى على الله الكذب فهو من الظالمين قبل الرسالة وبعدها ، وقبل نزول الكتاب وبعده .

فصل

وقد سمى الله سبحانه الشبه التي أوردها الكفار أمثالاً ، فقال تعالى : « وقَالُوا مَا لِهٰذَا(٢) الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً »(٣) .

فكان الجواب : « انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً »(٤) .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٩٤ .
(٢) كذا في المخطوط والمطبوع ، وفي المصحف [مال هذا]
(٣) سورة الفرقان آية : ٧ و٨ .
(٤) سورة الاسراء آية ٤٨ .

وهذا جواب جدل يتضمن فساد ما تمسكوا به من الشبه المذكورة لأنهم قالوا إنه مسحور والمسحور مبلبل الفكر ذاهب الرأي فكيف يكون معه ملك أو يلقى إليه كنز .

ثم جاء الجواب الآخر : « وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ »[1] فأما ما اقترحوه من الآيات في هذا الموضع وفي غيره فالجواب عنه مذكور في عدة مواضع ، منها قوله تعالى : « وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ »[2] .

وقال في موضع آخر : « وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ »[3] .

ومثله قوله تعالى : « وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِم الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ »[4] .

والفرق بين الآيات الدالة على صدق الرسل عليهم

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٠ .

(٢) سورة الاسراء آية : ٥٩ .

(٣) سورة الانعام آية ٨ .

(٤) سورة الأعراف الآيات : ١٤٣ - ١٣٦ .

السلام المقترحات من الأمم وبين الآيات التي تبتكرها الأنبياء ان المقترحات لم تبق لهم عذراً في ترك الايمان بعد الاتيان بها إذ هي بمنزلة الشاهد الذي أجاز الخصم شهادته عليه فإذا رد وجحد فقد عاند وصد فاستحق تعجيل الانزال به بخلاف سائر الآيات فإنها وإن كانت أدلة إلا أن للناظر فيها فسحة النظر ومهلة التأمل فلهذا لم يعجل عقابه وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا[1] لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ »[2] .

فصل في ذم التقليد والمقلدين

وقد عابهم الله عز وجل في كتابه العزيز في عدة مواضع ، منها قوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ »[3] .

ومن ذلك في المائدة : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ »[4] .

---

(١) سقطت في المخطوط دون المطبوع .
(٢) سورة طه آية : ١٣٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٧٠ .
(٤) سورة المائدة آية : ١٠٤ .

ومن ذلك في حم الزخرف : « بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ »[1] .

ثم ذكر سبحانه أن هذه الشبهة تمسك بها جميع الأمم قال سبحانه : « وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ »[2] فكان الجواب على شبهتهم من وجهين :

أحدهما قوله تعالى : « أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ »[3] .

والوجه الثاني : « قُلْ[4] أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ »[5] وههنا نكتتان :

إحداهما قوله : « بِأَهْدَىٰ » ولا هداية لآبائهم وإنما ذكر ذلك توطئة لاستماع حجته وتلطفاً في الدعاية إلى هدايته .

النكتة الثانية : أعرضوا عن الجواب الملزم لهم إلى استماع ما هو أهدى إلى قولهم : « إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ »[6] .

(١) سورة الزخرف آية : ٢٢ .
(٢) سورة الزخرف آية : ٢٣ .
(٣) سورة البقرة آية ١٧٠ .
(٤) هي قراءة الجمهور وقرأ ابن عامر وحفص (قال).
(٥) سورة الزخرف آية ٢٣ .
(٦) سورة سبأ : ٣٤ .

فصل في جواز التجوز

وفي الكتاب العزيز من ذلك كثير من ذلك قوله تعالى : « إنَّ الذين يكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَاب وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ إلاَّ النَّارَ »[1] وقد علم انهم في الحالة الحاضرة لا يأكلون النار والشرا[2] والصبر على النار .

فصل

يجوز عطف الواجب على غير الواجب كقوله تعالى : « كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ »[3] وكقوله : « كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ واشكروا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ »[4] .

فصل

والانكار بعد الاعتراف لايسمع ، دليله قوله تعالى : « ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ »[5] .

فعاقبهم على ضلالهم الأول بضلال هو الانكار بعد الاعتراف .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٤

(٢) في المطبوع : الشراء .

(٣) سورة الأنعام آية ١٤١ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٧٢ .

(٥) سورة المؤمن آية : ٧٣ـ ٧٤ .

فصل

ومن لطائف الأجوبة الجدلية لما قال فرعون لموسى : « أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ »(١) كان جواب موسى عليه السلام : « وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ »(٢) ، فالذي إعتده فرعون نعمة جعلها موسى نقمة وهو جواب على معنى الكلام لا على لفظه .

فصل

ومن أنواع التجوز قوله تعالى : « وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ »(٣) والأنعام ثلاثة أنواع : إبل وبقر ، وغنم ، والمركوب منها الإبل خاصة .

فصل

في المباكتة بالتشنيع

منها قوله تعالى : «قُلْ(٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٨ .

(٢) سورة الشعراء آية : ٢٢ .

(٣) سورة المؤمنون آية ٢٢ .

(٤) قُلْ ليست موجودة في المخطوط، ولا في المطبوع.

اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانَاً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ »[1] .

فإذا وقع التشنيع على مذهب بسبب حكم خالف فيه الفقهاء ، أو قول فيه نفرة مثل المخلوقة من ماء الزنا وجواز الخضخضة[2] على مذهب الإمام أحمد،أو ما[3] كان للخصم أن يشنع على مذهبه بما هو من هذا القبيل . وقد صح أن النبيﷺ قال لليهود : « يا إخوان القردة »[4] .

فصل

ومما يجري مجرى المقابلة في الأذى والجناس في الجزاء « وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا

(١) سورة المائدة آيتا ٥٩ ، ٦٠ .

(٢)وهي الاستمناء، وفي المطبوع «المخصصة» وهو خطأ.

(٣) كذا الأصل ، ولعله سقط مثل :«شابه ذلك» وجواب إذا :كان للخصم . .

(٤) كلام المؤلف هنا فيه نظر ، فالمعروف أن هذا الكلام من قول عائشة رضي الله عنها وليس من قول النبيﷺ وقد روت عائشة قصة ذلك فقالت : « بين أنا عند النبيﷺ إذ استأذن رجل من اليهود فأذن له فقال السّام عليك فقال النبيﷺ « وعليك » قالت فهممت أن أتكلم قالت ثم دخل الثانية فقال مثل ذلك فقال النبيﷺ « وعليك » ثم دخل الثالثة فقال « السّام عليك » فقلت بل السام عليكم وغضب الله يا أخوان القردة والخنازير أتحيون رسول الله ﷺ بما لم يحيه به الله قالت فنظر إليّ وقال: مه ان الله لا يحب الفحش ولا التفحيش قالوا قولا فرددناه عليهم فلم يضرنا شيئا ولزمهم الى يوم القيامة . . » رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ٣٤١ وج ٦ ص ١٣٥ .

قَالُوا »[1] واللعن هو الطرد والبعد . ولما كانت يد الله مبسوطة بالقدرة على الايجاد والاعدام ، والاشقاء والإسعاد كان القول بغلول يده سبحانه أبعد المحالات في نظر العقل فاستحقوا الإبعاد .

فصل

التخصيص بالذكر لا يدل على الاختصاص في الحكم كقوله سبحانه :

« لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ »[2] .

وقال سبحانه بعدها :

« لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ »[3] .

فصل

يتضمن ثلاث شبه والجواب عنها :

الأول[4]: أنه تارة تحدى بجملة القرآن وتارة بعشر سور ، وتارة بسورة ، والجواب أنه ذكر الآحاد والعقود ونفاها ليعلم العجز عن كله وبعضه . فإن قيل القديم لا يوصف بكل ولا بعض قيل هذا كقولنا عالم مريد قادر هذه بعض صفات

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٤ .
(٢) سورة المائدة آية : ١٧ .
(٣) سورة المائدة آية : ٧٣ .
(٤) في المخطوط والمطبوع : الأول ، والأصح (الأولى) أي الشبهة .

القديم ولا نريد بَعْضِيّة التجزي . وكما تقول : القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، والسورة كذا وكذا آية .

الشبهة الثانية ما الحكمة ان هذا الكتاب العزيز لم ينـزل جملة واحدة ، وسائر الكتب نزلت جملة جملة [1] . قال تعالى : « وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً * وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً » [2] .

الجواب الثاني : قال أهل المعاني : القوم كانوا قبلنا عما لا فكتبت كتب عهودهم وسلمت إليهم جملة ، وهذه الأمة أحباب ورسائل الأحباب لا تنقطع [3] .

---

(١) هكذا في المخطوط والمطبوع . ولعل هذه الكلمة زائدة أو مكان كلمة أخرى مثل [واحدة] أو نحو ذلك مما يتم به المعنى .

(٢) سورة الفرقان آية : ٣٢ و٣٣ .

(٣) جواب المؤلف رحمه الله هنا بعيد عن الحكمة في نزول القرآن الكريم منجما وقد ذكر العلماء الحكمة في نزوله منجما وألخص منها ما يلي :
١ـ تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم كما أشارت إليه الآية السابقة
٢ـ تمكينه من قراءته على قومه بتؤدة وتمهل حيث يصل الى نفوسهم فيستأصل ما كان قد تشهبت جذوره في أفئدتهم من الشرك والخمر ووأد البنات وغير ذلك من مسائل الجاهلية . .
٣ـ مجاراة الحوادث لأنها لم تقع جملة واحدة فكانت الحكمة في تفريق الاحكام الخالصة بها . . الخ .
٤ـ إجابات السائلين الذين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلّم فكان =

والشبهة الثالثة : شبهة القدرية ، قالوا : كيف الجمع بين إرادة خلق الفعل والعقاب عليه ؟

والجواب : ثبت بالاجماع أنه حكيم عادل والحكيم العادل غير متهم ، كيف وقد ذكر الظلم في الكتاب العزيز في مائتي موضع وثمانين موضعاً، وذمه وذم الظالمين ، ونفى الظلم عن نفسه في ثمانية وعشرين موضعا منها ، ويستحيل أن يحرم شيئاً على نفسه ويقبحه من غيره ثم يفعله ، وهو أعدل العادلين وأجل المنعمين . والخوض في هذا منهي عنه لأنه بحر مغرق ، ولكشفه ميعاد يوم تبلى السرائر .

فصل

والدليل على أن توبة الزنديق لا تقبل قوله عز وجل : « إنَّ الذين كَفَرُوا بَعْدَ إيْمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ »(١) والمعنى فيه أن قليل الكفر وكثيره سواء في استحقاق القتل واستيجاب النار والتوبة مقبولة في قليله وكثيره ، فلا معنى لزيادة الكفر إلا إبطان

= ينتظر الاجابة من الله تعالى فيما ليس عنده فيه وَحْيٌ من الله . . .
٥ـ كشف حال المنافقين وفضح ما يكيدون به للنبي صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من الحكم الكثيرة التي ذكرها علماء أصول التفسير في كتبهم .

(١) سورة آل عمران آية ٩٠ .

الكفر وإظهار الإيمان[1] .

والله تعالى أعلم بكتابه وأسرار خطابه .

علقه من خط شيخه مسمعه[2] أقضى القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن إبراهيم القرشي لشيخه العلامة مسمعه صلاح الدين . . . المرحوم . . . عبد الله . . . [3]

. . . . أبو عبد الرحمن الحنبلي تاب الله عليه وسلمه آمـين . والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

بلغ عرضاً بأصله[4] . ـ انتهى ـ[5]

---

(١) لعل المؤلف يقصد بعدم قبول توبة الزنديق اذا مات على ذلك،فأما اذا تاب الى الله وأخلص في توبته قبل موته فظواهر نصوص الكتاب والسنة تدل على قبول توبته والآية التي بعد هذه الآية وهي قوله تعالى [. . . إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به . .] في حكم البيان لها.

راجع أقوال المفسرين في ذلك مثل فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٣٥٩ .

(٢) أي الذي أسمعه إياه .

(٣) كلمات لم تظهر لا في المصورة ولا في الأصل .

(٤) يقصد من قوله (بلغ عرضاً بأصله) أي بلغ نهاية الكتاب (عرضاً) أي مقابلة ومطابقة على الأصل المنسوخ منه .

(٥) جاء في الصفحة الأخيرة من المخطوطة ما يلي : [وقف العبـد الفقـير السيد حسن محمد في غرة المحرم ١١٣٠ هـ]

وبهذا نكون قد قدمنا ما تيسر من دراسة وتحقيق مخطوطة « استخراج الجدال من القرآن الكريم » للإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والله حسبنا ونعم الوكيل .

الدكتور زاهر بن عواض الألمعي

فهرس
أوائل آيات القرآن الكريم

٢- فهرس الأعلام

٣ـ المصادر والمراجع

أولاً: القرآن وعلومه:

١ـ جامع البيان في تفسير القرآن.

تأليف: محمد بن جرير الطبري. طبع دار المعارف بالقاهرة.

٢ـ الجامع لأحكام القرآن.

تأليف: القرطبي. طبع دار الكتب الوطنية بالقاهرة.

٣ـ مفاتيح الغيب.

تأليف فخر الدين الرازي. طبع البهية المصرية بالقاهرة.

٤ـ تفسير القرآن العظيم.

تأليف الحافظ ابن كثير. طبع المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

٥ـ زاد المسير في علم التفسير.

تأليف ابن الجوزي. طبع المكتب الاسلامي بدمشق سنة ١٣٨٤ هـ.

٦ـ الاتقان في علوم القرآن.

تأليف السيوطي. طبع المشهد الحسيني بالقاهرة.

٧ـ تاريخ الجدل في القرآن.

تأليف محمد أبو زهرة. طبع دار الفكر.

٨ـ الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة.

تأليف ابن رشد. طبع المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ.

٩ـ المعجزة الكبرى للقرآن.

تأليف محمد أبو زهرة. طبع دار الفكر العربي بالقاهرة.

١٠ـ مناهج الجدل في القرآن الكريم.

تأليف الدكتور زاهر عواض الألمعي (محقق الكتاب).
طبع مطابع الفرزدق بالرياض سنة ١٣٩٩ هـ.

ثانياً- كتب الحديث وعلومه:

١١- سنن الترمذي.
تأليف الامام الترمذي. طبع المطبعة الوطنية بحمص سنة ١٣٨٥هـ.

١٢- صحيح البخاري بحاشية السندي.
تأليف الامام البخاري. طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

١٣- صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي.
تأليف الامام مسلم. طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.

١٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري.
تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني. طبع المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٠هـ.

١٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل
تأليف الإمام أحمد. تصوير المكتب الاسلامي ببيروت.

ثالثاً- كتب التراجم والسير:

١٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة.
تأليف ابن الأثير. طبع مطبعة الشعب بالقاهرة.

١٧- الإصابة في تمييز الصحابة.
تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني. طبع دار نهضة مصر بالقاهرة.

١٨- الأعلام.
تأليف خير الدين الزركلي. طبع بيروت.

١٩- البدايه والنهاية.
تأليف الحافظ ابن كثير. طبع مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة.

٢٠- حسن المحاضرة.
تأليف الإمام السيوطي. طبع عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٧هـ.

٢١ـالدارس في تاريخ المدارس.
تأليف النعيمي. طبع مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٧٠.
٢٢ـ الذرر الكامنة.
تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني. طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند.
٢٣ـ الذيل على الروضتين.
تأليف أبي شامة المقدسي. طبع دار الجيل ببيروت.
٢٤ـ السيرة النبوية.
تأليف الحافظ ابن كثير. طبع عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٨٤ هـ.
٢٥ـ شذرات الذهب.
تأليف ابن العماد الحنبلي. طبع المكتب التجاري ببيروت.
٢٦ـ الطبقات الكبرى.
تأليف ابن سعد. طبع دار بيروت للطباعة والنشر
٢٧ـ طبقات الشافعية.
تأليف السبكي. طبع عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٨٣ هـ.
٢٨ـ القلائد الجوهرية.
تأليف ابن طولون الصالحي. طبع مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق سنة ١٣٦٨ هـ.
٢٩ـ كتاب الذيل على طبقات الحنابلة.
تأليف ابن رجب. طبع مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٧٢ هـ.
٣٠ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
تأليف حاجي خليفة. طبع مكتبة المثنى ببغداد
٣١ـ مذكرة الحفاظ.
تأليف الذهبي. طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند
٣٢ـ مرآة الزمان.

تأليف سبط ابن الجوزي. طبع دار المعارف العثمانية بالهند
٣٣- معجم المؤلفين
تأليف عمر رضا كحالة. طبع مكتبة المثنى ببيروت
٣٤- هدية العارفين.
تأليف اسماعيل البغدادي. طبع مكتبة المثنى ببغداد
٣٥- الوافي بالوفيات.
تأليف صلاح الدين الصفدي. طبع

رابعاً- كتب اللغة وغيرها:

٣٦- أقيسة النبي صلى الله عليه وسلم.
تأليف ناصح الدين بن الحنبلي. طبع مطبعة السعادة ١٣٩٣ هـ.
٣٧- ديوان أبي العتاهية
تأليف أبي العتاهية. طبع دار صادر ببيروت.
٣٨- لسان العرب
تأليف ابن منظور. طبع دار صادر ببيروت
٣٩- مجموعة الرسائل المنيرية.
تصوير أمين دمج ببيروت سنة ١٣٩٠ هـ.
٤٠- المصباح المنير
تأليف الفيومي. طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٢٦ م.

المحتويات